

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الشعر في
ركاب الحجاج بن يوسف الثقفي

د. محمد نافع حسن المصطفى
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي

٨١١,٢
مح.شع

ISSN : 1560 - 5248
الرسالة ٢٨٢ - الحولية ٢٩
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م (سبتمبر)





2009-03-17

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

فصلية علمية محكَمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكليتي الآداب والعلوم الاجتماعية:

الآداب:

اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، الإعلام.

العلوم الاجتماعية:

الاجتماع والخدمة الاجتماعية، الجغرافيا، علم النفس، العلوم السياسية.

الحولية التاسعة والعشرون
الرسالة الثانية والثمانون بعد المئتين
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م



هيئة التحرير

د. فاطمة حسين العبدالرزاق

رئيسة هيئة التحرير

أ. د. أحمد محمد الطوخي

قسم التاريخ

أ.د. حسن سيد أحمد أبو العينين

قسم الجغرافيا

أ.د عزت قرني عبدالرحيم

قسم الفلسفة

أ.د. محمد أحمد الدالي

قسم اللغة العربية وآدابها

د. هاني أمين عازر

قسم اللغة الانجليزية وآدابها

د. هدى جعفر طاهر

قسم علم النفس

د. هشام محمود إبراهيم مصباح

قسم الإعلام

د. عبدالله مشعل العنزي

قسم العلوم السياسية

د. عبدالله حمد محارب الهين

قسم اللغة العربية وآدابها

هيفاء حمد المشاري

مديرة التحرير



الهيئة الاستشارية

أ. د. إبراهيم السعافين
قسم اللغة العربية - جامعة الشارقة

أ.د. حياة ناصر الحجي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

أ.د. أحمد عتمان
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية
جامعة القاهرة

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري
قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

أ.د. إسماعيل صبري مقلد
قسم العلوم السياسية - جامعة أسيوط

أ.د. ماري تريز عبد المسيح
قسم اللغة الإنجليزية - جامعة القاهرة

أ.د. إمام عبد الفتاح إمام
قسم الفلسفة - جامعة عين شمس

أ.د. محمد غانم الرميحي
قسم الاجتماع - جامعة الكويت

أ.د. حمدي حسن أبو العينين
عميد كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

أ.د. محمد محمود إبراهيم الديب
قسم الجغرافيا - جامعة عين شمس

أ.د. محمود السيد أبو النيل
قسم علم النفس - جامعة عين شمس



قواعد النشر في

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

١ - حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، تنشر البحوث من الجامعات والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية في الموضوعات الأدبية والاجتماعية والإنسانية.

٢ - تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية، باللغتين العربية والإنجليزية، على ألا تتجاوز صفحات متن أي بحث ٢٠٠ صفحة، ولا تقل عن ٥٠ صفحة (في المتن أيضاً).

٣ - قواعد تسليم البحوث:

أ - يقدم البحث مطبوعاً من ثلاث نسخ، على ورق (A4)، وعلى مسافتين، وبنط (١٤)، مع القرص المرن الخاص به.

ب - يرفق الباحث ملخصاً للبحث مطبوعاً باللغتين العربية والإنجليزية؛ في حدود ١٥٠ كلمة للغة العربية، و٢٠٠ كلمة للغة الإنجليزية.

ج - يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهم مؤلفاته وأبحاثه.

د - يقدم الباحث إقراراً كتابياً بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.

هـ - تقدم الخرائط، والأشكال، والرسوم بأصولها الصالحة للطباعة، أما الصور الفوتوغرافية فتطبع على ورق لماع، مع ضرورة تقديم الشريحة الأصلية للصور الملونة.

و - في حال رغبة الباحث نشر الصور، أو الخرائط، أو الأشكال البيانية ملونة، يلتزم دفع تكاليفها.

٤ - يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعه ما يلي:

أولاً - الهوامش:

أ - توضع الهوامش في نهاية كل فصل، أو في نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.

ب - ترتب أرقام التوثيق بطريقة متسلسلة حتى نهاية كل فصل، أو حتى نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.

ج - تثبت الهوامش عند ذكرها لأول مرة كاملة على النحو التالي:

اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، رقم الطبعة / رقم الجزء، مكان النشر، اسم الناشر، سنة النشر / رقم الصفحة.



مثال:

- أحمد محمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية، الطبعة الأولى - دولة الكويت، مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت ٢٠٠٠م / ص١٥ .

* المرجع السابق - ص ٢٦ .

- وفي حالة وجود فاصل هامش مختلف يذكر على النحو التالي :

* أحمد عبد الخالق، معجم الألفاظ الشخصية - ص ٣٥ .

ثـــانياً - المصادر والمراجع:

يرتب ثبت المصادر والمراجع ترتيباً ألفبائياً، بحسب الأسماء المشهورة للمؤلفين.

ويتبع في إثباتها ما يلي:

اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، اسم المحقق أو الشارح أو المترجم، رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان النشر، السنة.

مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب «الحيوان»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ١٩٦٥م.

٥ - شروط قبول الأبحاث في الحوليات:

أ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.

ب - أصول البحث المقدمة للنشر لا ترد ولا تسترجع، سواء أنشرت أم لم تنشر.

ج - لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها، وإذا ثبت ذلك، فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.

د - يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي مسبق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات - على الأقل - على نشره في الحوليات.

هـ - تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور إهداء.

٦ - ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى:

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ - الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/AASS
E-mail:aass@kuniv.edu.kw



الرسالة ٢٨٢

الشعر في
ركاب الحجاج بن يوسف الثقفي

د. محمد نافع حسن المصطفى
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية التاسعة والعشرون - ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م



المؤلف:

د. محمد نافع حسن المصطفى:

- دكتوراه في الأدب الإسلامي والأموي من جامعة الخرطوم، السودان، عام ١٩٩٣م.
- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

الإنتاج العلمي:

أولاً - الكتب:

- الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة. (الشارقة: دار المعارف، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ط ٢.
- الزبيريون في التاريخ والأدب. (بيروت، دار الرسالة، الشارقة: دار البشير، ١٤٢٥ هـ /٢٠٠٤م)، ط ١.
- تأويل مختلف الحديث. تحقيق. (بيروت: دار الرسالة، الشارقة: دار البشير ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م)، ط ١.

ثانياً - الأبحاث:

- حديث القرآن الكريم عن الشعر. مقبول للنشر في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥ م.
- الرسول - صلى الله عليه وسلم - والشعر. مجلة علوم اللغة، جامعة عين شمس، القاهرة، المجلد ٥، العدد ٤، ٢٠٠٥ م.
- الشعر في بلاط عمر بن عبد العزيز. مجلة جامعة الشارقة، المجلد ٢، العدد ٢، حزيران ٢٠٠٥ م.
- الغزل في القصيدة الإسلامية والأموية بين التقليد والرمز. مجلة كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية. س. م





المحتوى



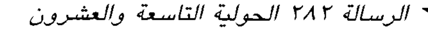
رفع
المسهم

الملخص

قامت الدولة الأموية على الدماء والأشلاء، التي استأثر الحجاج وأضرابه بها، فأصاب الأمة منه بلاء وعذاب. أذل الأشراف بطغيانه، وأخرس الألسنة بجبروته، سوى ألسنة استمالها بجزيل الصلات، وعظيم الهبات، أو استذلها بقيود الرهبة والقهر، فأنطقها بآيات التزلف والملق والارتزاق، كي تروض له ولأسياده الأمر، وتمكن لهم الزعامة، فتحول الشعر عن وظيفته الحقيقية، وأصبح الشعراء من جند السلطة، وغدا الشعر حرفة للكسب الرخيص، وأداة للمديح الكاذب، وتصفيقاً لسيوف البطش، ومخالب الفتك. فاختلق لهم المآثر، وضخم الشيم، ونسج لهم منها سرابيل فضفاضة، جمع خيوطها من القيم الجاهلية، والمآثر الإسلامية، مع استفاضة وتكرار، التماساً لرضى الممدوحين، واستجابة لتطلعاتهم، ووفاءً لجذوة التفوق والمباراة المضطرمة في صدور الشعراء، وهم يتزاحمون بأشعارهم على سماط الحجاج المتخم حباً للعلو في الأرض، واستكباراً على الخلق، فكان عذاباً على الناس، وعلى الفن الشعري – على الرغم من غزارته وخصوبته – الذي استذله بالطمع، وأنطقه بالزور، ووأد الخوف منه شعراً في صدور أصحابه.

فراج شعر المديح في ركاب الحجاج خوفاً وطمعاً، وراح يجاري نتاج فحول شعراء الجاهلية، من غير أن يغفل الروافد الإسلامية في تلوين لوحته الفنية. كل ذلك ليخلو وجه الحجاج له دون غيره من منافسيه من الشعراء، وليقوم بحق الفن الشعري من الإجادة والإتقان.

وأزعم أني – بعد أن حققت تلك الأشعار – أطلقتها لتقول كلماتها، معضدة بالأخبار الشاهدة على صدق دعواها، ناطقة بخصائصها الموضوعية والفنية، **وذاك ما يهدف إليه البحث**، وإن كانت الصورة التي رَسَمْتها للحجاج صورة جبار في محراب.





رفع
المسهم

مقدمة (الأحوال السياسية في عصر الحجاج):

أفلت شمس خلافة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - مع أفول مصعب بن الزبير عن أرض العراق، في الجاثليق، إذ أصبحت السبيل معبدة إلى عاصمة خلافتهم، ولا حول لها ولا طول. وانتدب الحجاج بن يوسف نفسه للإجهاز على ابن الزبير في مكة المكرمة، وطي صفحة خلافته التي استمالت المسلمين. ولم تغن تلك البطولة التي أبداها ابن الزبير عنه شيئاً، ولم تصْفُ لعبد الملك بن مروان وأبنائه سلطتهم، بعد أن اعتلى عرشها متغلباً، وعلى جثث الرجال وهاماتهم، فكانت أيامهم مثقلة بالفتن والاقتتال، إذ شدَّ هؤلاء أزرهم بالتناقضات القبلية، واعتصموا منذ البداية بحبل الكلبية ومن والاهم ؛ تمكيناً لعروشهم، ولا يخفى ما تحمله العصبيات من تناحر واقتتال. فكثيراً ما كانت تهيج القبائل، فتثور على الولاة، أو تتعصب لهم، تبعاً لمصلحة قائمة، فتُكظم أحقاد، وتثور فتن، وتنشب حروب.

مع أن سوق الجهاد كانت رائجة في عهد بني أمية، فَعَلَتْ كلمة الإسلام في أرجاء واسعة من المعمورة، وأذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتجهون إلى قطر إلا أخذوه.

واستعان المروانيون - إلا أقلهم - بولاة غلاظ شداد، لا يرون المعصية إلا في مخالفة أمر السلطة، ولا التقوى والإيمان إلا في طاعتها ورضاها، فمالوا إليها ميلاً عظيماً، بل يرون خلافهم كفراً؛ فاستحلوا بذلك الدماء والأموال والأعراض، وبخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي؛ إذ سلط على الناس، فأقدم على سفك الدماء، وانقبضت نفسه عن الرحمة، وأثبت السيف في يده بعد أن كسر جفنه، وأخذ بالظنة، فأرهب الخصوم، ووطأ أعناق الناس، واستأثر بالأموال، وأنفق الكثير منها لإرساء هيبته، وتثبيت دعائم عرش أسياده، فاصطنع الشعراء، وشرى



النفوس والذمم، فأحاطوه بهالات التعظيم والتمجيد، وعلا صوتهم متملقين، ولو فوق رؤوس صرعاه ؛ ليحملوا الناس على الإعجاب به، والالتفاف حوله. ولم يضن عليهم بمال ومتاع وإعجاب، فقد أطنبوا في مديحه والثناء عليه، بل غدا المديح على أيديهم بضاعة الشعراء طالبي النوال، ويُحْمَدُ من يبذل أثمان المحامد، ويجوّد الشعراء صناعتهم، ويتبارون في ذلك؛ طلباً للقبول والحظوة والمال.

وحاولت أن أظهر الصورة الحقيقية له في عيون الشعر الذي سار حادياً ركبه، أو شارداً عنه، متوارياً من سطوته، أو هاجياً له، مبرزاً مثالبه، غير غافل عن نوازع محبة العاجلة، التي قد تدفع الشاعر للمبالغة في الإطراء، أو للتجني والافتراء، وإن كان التزيد والإسراف سمة عامة.

* * *



أولاً - الحجاج بن يوسف الثقفي

أ - سيرته وسياسته:

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قَسيّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مضر، أبو محمد الثقفي[١]. وأم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، وكانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي، حكيم العرب[٢]. وقيل: كانت عند المغيرة بن شعبة[٣]، فطلقها لأنه دخل عليها مرة سحراً، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها. وقال ليوسف أبي الحجاج: تزوجها، فإنها لخليقة أن تأتي بالرجل يسود، فتزوجها. قال الشافعي: "فأُخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها، فنام. فقيل له في النوم: ما أسرع ما ألقحت بالمبير[٤] فولد سنة أربعين للهجرة، وقيل: إحدى وأربعين بالطائف، وسمته أمه كليباً[٥]، ثم سمته الحجاج. وثقيف من قبائل الطائف المعروفة، ولها مآثر وشرف على اختلاف في أرومتها.

(ويزعم آخرون أن ثقيفاً من بقايا ثمود، ونسبهم غامض، على شرفهم في أخلاقهم، وكثرة مناكحهم قريشاً)[٦] واشتهرت ثقيف بالإقدام والجبروت، وإن كان الظن يذهب بي إلى أنها ما رميت بنسبها إلى ثمود إلا من أجل ذلك عامة، وبسبب الحجاح وسياسته خاصة. ولا يعول على افتراءات الشانئين والخصوم من الشعراء وغيرهم.

وكان الحجاج يشمخ بأرومته ويَعتدُّ بنسبه، بل يرى فيه رفعة لا تنال، ومكانة لا تُزَاحم. فلما أراد خالد بن يزيد بن معاوية أن يحط من قدره "-لما



رآه يتبختر في مشيته في المسجد – قال رجل من قريش لخالد: ما هذه التَخْطَارة ؟، فقال: بخ بخ هذا عمرو بن العاص، فسمعه الحجاج. فمال إليه فقال: قلت هذا عمرو بن العاص، والله ما سرني أن العاص ولدني ولا ولدته، ولكن إن شئت أخبرتك من أنا، أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش"(٧).

ولم يكن يوسف والد الحجاج خامل الذكر، بل كان من وجوه ثقيف ورجالاتهم. "وكان رجلاً فاضلاً"(٨). يعرف الناس قدره، "فلما قدم مروان مصر، ومعه الحجاج بن يوسف وأبوه، فبينا هو بالمسجد، مرَّ بهم سُليم بن عِتْر – وكان قاص الجند، وكان خياراً – نهض إليه أبو الحجاج، فسلَّم عليه، وقال له: إني ذاهب إلى أمير المؤمنين، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال: نعم، تسأله أن يعزلني عن القضاء، فقال: سبحان الله ! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك. ثم رجع إلى ابنه الحجاج، فقال له ابنه: يا أبة أتقوم إلى رجل من تُجيب، وأنت ثقفي ؟! فقال له: يا بني: والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله. فقال: والله ما على أمير المؤمنين أضرّ من هذا وأمثاله، فقال: لِمَ يا بني ؟ قال: لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر، فيحقِر الناس سيرة أمير المؤمنين، ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما؛ فيخلعونه ويخرجون عليه، ويبغضونه، ولا يرون طاعته. فشتمه والده ولعنه، وقال: ألم تسمع القوم يذكرون عنه خيراً، ثم تقول هذا ؟ أما والله إن رأيي فيك أنك لا تموت إلا جباراً شقياً"(٩).

وأمه من بيت شريف، فهي حفيدة عظيم الطائف، وعزّ ثقيف. وحسبه أنه أحد المعنيين في قوله تعالى على لسان كفار مكة، وهم يعجبون من اصطفاء الله تعالى محمد بن عبد الله – صلوات الله وسلامه عليه – لرسالته: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(١٠). "والقريتان: مكة والطائف، والرجلان: الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي"(١١). وقد هزّه أهل



مكة المكرمة، "لما اعتذر إليهم لقلة ما وصلهم به. فقال قائل منهم: إذن والله لا نَعذِركَ، وأنت أمير العراقين، وابن عظيم القريتين"(١٢).

ب - مراحل حياته:

١ - نشأته:

نشأ الحجاج بالطائف، وحفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى العلم عن جمع من العلماء. فحوى الكثير من أشعار العرب وأخبارهم وأيامهم، وغدا واحداً من أئمة البلاغة والفصاحة؛ إذ كاد ألا يكون له قرين في الفصاحة من أهل زمانه، مع بصر في الشعر ودراية به. "وكان يعلم الصبيان بالطائف أول أمره"(١٣).

وإذا بلغنا أنه كان شاباً لبيباً، فقد توارت عنا أخباره يافعاً وراء ستارة الأحداث المتلاحقة، التي عجزت عن إخفاء تطلعاته إلى مكانة سامية، تؤهله لها كفايته ومكانته، فنراه يخب السير مع والده في جيش مروان بن الحكم المتوجه إلى مصر لانتزاعها من *عامل ابن الزبير، عبد الرحمن بن جحدم الفهري*، سنة خمس وستين للهجرة. وفي العام نفسه يعود مروان إلى الشام، وينفذ جيشاً إلى المدينة المنورة، على رأسه حُبيش بن دُلجة القيني ؛ لسلبها من يد ابن الزبير. وكان يوسف يحمل بعض الألوية في هذا الجيش، الذي مني بهزيمة منكرة، بعد أن استحر القتل به. ففر الشاميون ومعهم الحجاج وأبوه.

٢ - عمله في شرطة روح بن زنباع:

ويلحق بعدها بروح بن زنباع الجذامي، وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته، وعرف عنه الجفاء والغلظة، ويخصه ابن زنباع بالمعضلات من الأمور. فشكا عبد الملك يوماً لروح بن زنباع تخلف العسكر، وأنهم لا يركبون لركوبه، ويتثاقلون في المسير. فقال له روح: يا أمير المؤمنين، في شرطتي رجل،



إن وليته هذا الأمر كفاك همه. فأمر بإحضاره، فولاه أمر الجيش، فقام بذلك أحسن قيام، وعاد لا يستقر أحد بعد ركوب عبد الملك ؛ إذ اشتد عليهم الحجاج ، وألان قيادهم، فارتدع العسكر بحزمه وجلده وقسوته. وتقدم الحجاج في منزلته[١٤]، وكان ذلك أول ما عرف من كفايته، ثم ولي (تبالة) فلما عرف أن أكمة تسترها احتقرها وانصرف. فقيل في المثل: " أهون من تبالة على الحجاج "[١٥]. فولاه عبد الملك شرطة فلسطين لأخيه أبان بن مروان، وهو الذي أزعج الناس، وجمعهم لعبد الملك ؛ ليخوض بهم المعركة الحاسمة مع مصعب بن الزبير، بعد أن راسله زعماء قبائل العراق. ثم يرسل عبد الملك إلى زفر بن الحارث وفداً لمفاوضته، وكان على رأسه رجاء بن حيوة، ومنهم الحجاج بن يوسف. "وقيل: إن الحجاج لم يُصَلِّ مع زفر، مع أن رجاء صلى معه. فسئل عن ذلك، فقال: لا أصلي مع منافق خارج على أمير المؤمنين، وعن طاعته"[١٦]. "فبلغت عبد الملك، فقال: إن شرطيكم لجلد. فكان هذا مبدأ ظهور همته"[١٧].

٣ - قتاله عبد الله بن الزبير:

وتطلع الحجاج إلى مهمة تهيبها الآخرون ؛ ليقدمها عربون ولاء وإخلاص لبني أمية وسلطانهم، ولعلها تبلغه طموحه ومجده. "فيقول لعبد الملك: إني رأيت في منامي، كأني أسلخ عبد الله بن الزبير، فوجهني إليه. فوجهه في ألف رجل، وأمره أن ينزل الطائف، حتى يأتيه رأيه. ثم كتب إليه بقتاله وأَمَدّه. فحاصره حتى قتله، ثم أخرجه فصلبه، وذلك في سنة ثلاث وسبعين"[١٨]. فاستباح حرمة البيت العتيق، وأرعب الآمنين، وشاط دماء المسلمين.

ولما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير، "كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم، أتته ولاية مكة"[١٩]. ثم أضيف إليها جائزةً اليمامة واليمن، ومن بعدُ المدينة المنورة، فشخص الحجاج إليها، وأقام بها شهراً أو شهرين، فأساء



إلى أهلها، واستخف بهم. وقال: "أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان. فأذلّ من بقي من أصحاب رسول الله - ﷺ - وختم البعض منهم. كما يفعل بأهل الذمة. ورماهم بكل نقيصة"[٢٠]. وتطاول على عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - بل قتله. "إذ أمر رجلاً، فسمَّ زُجَّ رمح، وزحم ابن عمر في الطريق، ووضع الزج في ظهر قدمه، فمات منه؛ وذلك أن الحجاج خطب يوماً، فأخّر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك. قال: إن تفعل، فإنك سفيه مسلط"[٢١]. ولذا ذهب أناس إلى أنه المعني بقول رسول الله - ﷺ - : "إنَّ في ثقيف كذاباً ومبيراً"[٢٢].

لقد حققت سياسة القهر والإذلال استقراراً في الحجاز عاصمة الخلافة الزبيرية. ولم يخفَ العنت والبطش الذي لقيه أهل الحجاز على يد الحجاج. وفيهم جلة الصحابة والتابعين. لقد ضجَّ الناس بمرِّ الشكوى مما يلاقونه من الحجاج؛ فهذا إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، الذي قرّبه الحجاج، واستصحبه زائراً عبد الملك، "فلما دخل على عبد الملك لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة. مع القرابة ووجوب الحق، إبراهيم بن طلحة... قال إبراهيم: يا أمير المؤمنين ! إن أولى الأمور أن تفتح بها الحوائج، وترجى بها الزلف، ما كان لله عز وجل رضى، ولِحَق نبيه - ﷺ - أداء... ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة. وإن عندي نصيحة لا أجد بُدّاً من ذكرها، ولا يكون البوح بها إلا وأنا خالٍ، فأخلني تَرِدْ عليك نصيحتي. قال: دون أبي محمد ؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج... قال: قل يا بن طلحة نصيحتك. قال: الله يا أمير المؤمنين، قال: الله. قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه، وبُعْدِهِ عن الحق، وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخيار، أصحاب رسول الله - ﷺ - وأبناء



الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم العسف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام أهل الشام، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق، ولا إزاحة باطل. ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك، ومن رسول الله يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته ؟ أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فأبق على نفسك أو دع "(٢٣).

٤ – ولايته المصرين (الكوفة والبصرة) وثورات الخوارج وابن الأشعث:

ولما اشتدت شوكة أهل العراق على بني مروان، خطب عبد الملك الناس، فقال: "إن نيران العراق قد علا لهبها، وكثر حطبها، فجمرها ذاكٍ، وشهابها وارٍ. فهل من رجل ذي سلاح عتيد، وقلب شديد، ينتدب لها ؟ فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين... فقال: كيف تصنع إن وليتك ؟ قال: أخوض الغمرات، وأقتحم الهلكات. فمن نازعني حاربته، ومن هرب طلبته ومن لحقت قتلته... وما على أمير المؤمنين أن يجربني. فإن كنت للطُلى قطّاعاً، وللأرواح نزّاعاً، وللأموال جمّاعاً، وإلا أستبدل. فقال عبد الملك: من تأدب وجد بغيته، اكتبوا كتابه"(٢٤).

ولم تكن مهمة الحجاج في العراق يسيرة، إذ لم تثبت لخليفة ولا لأمير. فالقلوب مترعة بالغيظ، والجوانح مفعمة بالحقد وحب الانتقام، والخوارج يقضون مضاجع السلطة، وأهل العراق مجمّرون، تندفع أفواجهم في بلاد بعيدة فاتحين. وأمشاج الثورات تتجمع في رحم القهر والبطش... فذاق أهل العراق وغيرهم النكال والعذاب على يديه؛ شدة لا هوادة فيها، ووعيد وتهديد، لا تقل عن إرعاد السيوف. ولم تُجْدِ دعوات الناصحين، إذ لم تلاق أذناً من الحجاج "فقد كان أكبر لذاته سفك الدماء، وأمور لا يقدم عليها غيره"(٢٥). كما قال عن نفسه. ومع ذلك كان الحجاج يكثر الشكوى من سوء طاعة أهل العراق. "فقال له جامع المحاربي: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك. فدع ما يباعدهم منك إلى ما



يقربهم إليك. والتمس العافية فيمن دونك تعطها ممن فوقك. وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. فقال الحجاج: والله ما أراني أردّ بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف، فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله، قال: أجل ! ولكنك لا تدري لمن يجعله الله. فقال: يا هناه، إنك من محارب، فقال جامع:

وللحرب سُمِّينا وكنا محارباً … إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك. فقال له: يا حجاج، إن صدقناك أغضبناك، وإن كذبناك أغضبنا الله. فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله "[٢٦].

لقد أورثت سياسة البطش ثورات لا تكاد تنطفئ حتى تتقد من جديد، إذ أورت جذوات كانت خابية؛ فتجرأت الخوارج، واندفعت في تهديد السلطة وملاقاة جيوشها، بل دخلت الكوفة، وخلفت الحجاج متقياً بطشهم بأسوار قصره.. واشتعلت ثورات كثيرة، كان أعظمها ثورة ابن الأشعث، التي استقطبت القراء والعلماء والعباد والصالحين - وكل له غرض - وإن كنت لا أبرئ الدوافع القبلية، والعصبيات النافرة، التي التقت بالمطامع الشخصية، وإن كان أهل الصلاح والتقى يطمحون إلى إزالة المنكرات، من جبروت الحجاج وسياسته؛ فالسنة قد أميتت، والأحكام قد عطلت، والمنكر قد أعلن، والقتل قد فشا. وهذا ما صرح به عمارة بن تميم اللخمي - وكان وجهه الحجاج إلى ابن الأشعث، فعاد بالفتح والظفر بابن الأشعث، وقد أثنى عليه بين يدي عبدالملك بن مروان، ولم يبق في الثناء عليه غاية، يقول عمارة: "فلا رضي الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين، ولا حفظه ولا عافاه، فهو الأخرق السيئ التدبير، الذي قد أفسد عليك العراق، وألّبَ عليك الناس. وما أتيت إلا من خرقه، وقلة عقله، وفسالة رأيه، وجهله بالسياسة. ولك منه يا أمير المؤمنين أمثالها إن لم تعزله "[٢٧].



لقد أراد الحجاج أن يتشبه بزياد بن أبيه في سياسته، ولكنه ضل عن الحلم والرفق، ولم ير إلا السيف حكماً، فَمَكّن له في رقاب العباد. "لقد تشبه زياد بابن الخطاب فاشتط، وتشبه الحجاج بزياد فأهلك ودمّر"(٢٨). قال عبد الملك بن مروان لعبّاد بن زياد: "أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج ؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن زياداً قدم العراق وهي جمرة تشتعل، فسلَّ أحقادهم، وداوى أدواءهم، وضبط أهل العراق بأهل العراق. وقدمها الحجاج، فكسر الخراج، وأفسد قلوب الناس، ولم يضبطهم بأهل الشام فضلاً عن أهل العراق، ولو رام منهم ما رامه زياد، لم يفجأك إلا على قعود يوجف به"(٢٩).

وما كان للحجاج أن يقدم على تلك الدماء، ويستخف بالحرمات ورجالات هذه الأمة من العلماء والعباد إلا إذا اطمأن إلى رضى أولياء نعمته، فيعمل على إرضاء أسياده، فيتابع سياستهم، ويشتط في تنفيذ أوامرهم، حتى تستقيم لهم قناة الرعية. وإذا تجهم له هؤلاء أنكرته نفسه، واسودت أيامه، وأرعدت فرائصه. بل إن هؤلاء يستخذون أمام نساء أسيادهم. ألم تحجب أم البنين، زوجة الوليد ابن عبد الملك الحجاج طويلاً، وهو قائم ينتظر إذنها، ثم تشبعه تقريعاً وازدراء، "فتقول له: إيه يا حجاج، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير، وابن الأشعث. أما والله لولا أن الله علم أنك من شرار خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة، وقتلك ابن ذات النطاقين... بعثك في أعطية أهل الشام، حتى كنت في أضيق من القرن، وقد أظلتك رماحهم، وأثخنتك كفاحهم... ولله در القائل، إذ نظر إليك، وسنان غزالة بين كتفيك:

أسد علي وفي الحروب نعامةٌ ربداء تجفل من صفير الصافر(٣٠)

لقد كان الحجاج عقوبة لأناس بما سلف لهم من الذنوب، والخروج على الأئمة، وخذلانهم لهم، وعصيانهم ومخالفتهم، وفتنة لآخرين ألقمهم الحجاج دنياه، وحملهم على كل عظيم فركبوه، وتلا بعضهم حمده في المحافل. أليس



الحجاج دعوة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على أهل العراق، لما حصبوا إمامهم: اللهم عجّل لهم الغلام الثقفي، الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم" [٣١].

إن دولة ملكية يُتَوارث الحكم فيها، وتشد أزرها بالعصبية القبلية، وبولاة جبارين، يستأثرون بأموال الأمة ومقدراتها، لا بد أن تجند من الشعراء الفحول – ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً – في ديوان خدمتها، ولو رهنت لتلك القوى أقوات الرعية وحياتها، إذ كانت ألسنتهم أسنة في نحور الأعداء، وقصائدهم أوسمة على صدور الجلادين.

لقد أدرك الحجاج الأثر الخطير للفن الشعري في استمالة الناس، وتكوين قناعاتهم، فأسند إليه مهمة ترويض الناس، وإكسابهم الهدوء والاستئناس لسياسته، إذ ضج الشعر بالدعاية له ثناء عليه، وثلباً لخصومه. ولعل ملكة البيان والفصاحة التي حظي بها الحجاج – إذ كان محكم الكلام، تحفه بلاغة عجيبة، وروعة أداء، يسعفهما ثقافة عريضة، وحضور بديهة، وسرعة خاطر – وأحسن استثمارها في التمكين لسلطانه، دفعته إلى الاحتفال بالفحول من الشعراء والأدباء، فاصطنعهم واستخلصهم لنفسه، مع أنه سخّر طاقاته الفنية في تحقيق مطامحه ومآربه وتأثيره في سامعيه. وهذا ما أشار إليه مالك بن دينار – على خطورة شأنه، وعلو كعبه فقهاً وعلماً ودراية – في قوله: "ما رأيت أبين من الحجاج، كان يرقى المنبر، فيذكر إحسانه لأهل العراق، وإساءتهم إليه. حتى أقول في نفسي، إني لأحسبه صادقاً، وإنهم كاذبون" [٣٢].

فرعى الحجاج أصحاب المواهب الفنية، والملكات الشعرية، وحباهم بصنوف الهبات، وعظيم الجوائز. وخصهم بقربه وحفاوته، واتخذهم بوق دعاية، وسهام ردع، ومجن حماية. وبذلوا في سبيل ذلك متنخل أشعارهم، ولو اضطروا إلى استنباتها في حقول النفاق والتملق والتقلب. وانحرفوا بالفن الشعري عن وظيفته الحقيقية.



ثانياً - الحجاج والشعراء

أتت على الحجاج سنون لم يكن مذكوراً على ألسنة الشعراء، ولعل انقطاعه لحفظ القرآن الكريم والعلم، ثم اشتغاله بالتعليم بالطائف في وقت خمل فيه شأن الحجاز وأهله ؛ إذ ارتحلت الخلافة إلى الشام، لم يجعل له نباهة ذكر.. وإن كانت الآمال العراض، والمطامح الكبار تجمعت لديه وهو يعد العدة لتحقيقها، وعدته تلك ثقافة واسعة، واعتداد ضخم، وقسوة وغلظة.

وأول ما وقعنا عليه من ذكر له في الشعر كان أيام تولى شرطة أبان بن مروان بفلسطين. وكان أبان قد أودع (إمام بن أقرم) سجنه ؛ لجناية ما، فقال بعد أن فرَّ من السجن[٣٣]:

ولما أن برزت إلى سلاحي ودرعي، قلت: ما أنا بالأسير

طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عَيْنَيْ بنت ماء تُقلِّبُ طرفَها حذَر الصقور

لقد ملك الرجل حريته، وأعتق نفسه من الأسر، من غير منة لرجال أبان: أبي داود، وابن أبي كثير، ولكن أفلت رغم حذر الحجاج ويقظته.

ويغيب ذكر الحجاج مع جلبة الجيوش التي قادها مروان بن الحكم لمغالبة ابن الزبير، وتوسيع سلطانه.. مع أنه شهد مع أبيه انتزاع مصر من عامل ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم الفهري. ونقع منه على ذكر بعد أن أنفذ عامل ابن الزبير على البصرة (الحارث بن عبد الله المخزومي) الحَنْتفَ بن السِّجف إلى حُبيش بن دُلْجة القيني، الذي لقيه بالربذة. فَقُتِل حبيشٌ، وعبيد الله بن الحكم أخو مروان بن الحكم. وفرَّ الحجاج بن يوسف وأبوه على بعير



يعتقبانه. وخلفوا حُبيشاً مصلوباً، فقال عمر بن حنظلة التميمي، وكان مع جيش ابن الزبير(٣٤):

فدى لامرئ سوّى حُبَيْشاً على العصا قدامة قبل الناس من آل أجدرا
وقال حُبيش للجنود تقدموا وظن قتال القوم قَنْداً وسُكّرا
ولما التقوا ولى الشآمون هُرَّباً عزينَ، وأجلوا عن حُبيش مقطّرا
وأفلتنا الحجاج ركضاً ولو به لحقنا لغادرنا الجُرَيَّ معفّرا

فالهزيمة حلت بجيش الشام، وما ذكر الحجاج بعد قائد الجيش دون الآخرين إلا دليل على نباهة شأنه.. وإن كان يوسف والد الحجاج معه بعض الألوية في تلك الموقعة، كما ذكر ابن قتيبة، وساق بيتين ونسبهما إلى يوسف بن توسعة العبدي(٣٥):

ونجّى يوسفَ الثقفيَّ ركضٌ وذلك بعدما سقط اللواءُ
ولو أدركنه لقضين نحباً به، ولكل مخطئة وقاءُ

ومن الشعراء الذين دار ذكر الحجاج في أشعارهم:

أ - الأقيبل القيني:

على الرغم من مرارة الأحداث وتلاحقها لم تسعفنا كتب التاريخ والأدب بذكر للحجاج في الجيوش التي ثَلَّتْ ركن الدولة الزبيرية في العراق، مصعب ابن الزبير. ولعل شهود عبد الملك وإخوته وكبار رجالاته وفرسانه غطت على الحجاج وأمثاله.. وكأني بالحجاج - وهو الحريص على نباهة ذكره - يفتش عن موقع يعلي فيه من شخصه، فيندب نفسه لتلك المهمة الثقيلة، وهي مقاتلة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، ولو ألحد في حرم الله الآمن، وتطاول على بيت الله العتيق، فتوجه إلى مكة المكرمة، وقال لأصحابه: تجهزوا للحج، وكان



ذلك في أيام الموسم. ثم سار إلى الطائف حتى دخل مكة، ونصب المنجنيق على أبي قبيس. وكان الأقيبل القيني معه، فلما رأى البيت يرمى بالمنجنيق هرب من الحجاج، وقال(٣٦):

لعمر أبي الحجاج لو خفت ما أرى ... من الأمر ما ألفيت تعذلني نفسي
فلم أرَ جيشاً غُرَّ بالحج قبلنا ... و لم أرَ جيشاً مثلنا غيرَ ما خُرْسِ
دلفنا لبيت الله نرمي ستورَه ... بأحجارنا زَفْنَ الولائدِ في العُرس
فإلا تُرِحْنا من ثقيف وملكها ... نُصَلِّ لأيام السباسِب والنحس

فبلغ الحجاج الشعر، فطلبه ليقتله، فهرب حتى لحق بدمشق. فاحتمى بقبر مروان، فأمنه عبد الملك، وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له. فقال قومه: إنك إذا أتيت الحجاج قتلك، فطرح الكتاب وهرب، وقال(٣٧):

لقد علمتُ وخيرُ القولِ أنفعُهُ ... أن انطلاقي إلى الحجاج تَغْرِيرُ
لئن ذهبت إلى الحجاج يقتلني ... إني لأحمق من تُحْدَى به العير
مُسْتَحقباً صحفاً تدمى طوابعها ... وفي الصحائف حيات مناكير

ب - حميد الأرقط:

وقبل أن يُقتل عبد الله بن الزبير يَرِد عليه حميد الأرقط منتجعاً، فلم يرجع منه بطائل، لأنه لا يرى للشعراء حقاً في بيت مال المسلمين. فتوجه إلى الحجاج مادحاً ومُعرّضاً بالعطاء، فقال مرتجزاً(٣٨):

قُلت لعنسي وهي عَجْلَى تغتدي ... لا نومَ حتى تَحْسِري وتُلهدي
أو تَرِدي حوضَ أبي محمد ... ليس الأمير بالشحيح الملحد
ليس أميري بالظَّلُوم المُلْحِدِ ... ولا بوبر بالحجاز مُعرد

وما كان الحجاج يومها ممن ينيل الشعراء، فقد "حرم الشعراء في أول



مقدمه العراق، فكتب إليه عبد الملك: أجز الشعراء... "[٣٩]. بل كان عبد الملك "أول خليفة بُخِّل، وكان يقول: إعطاء الشعراء من السرف. ولكنهم قوم يتأتى لهم الذم الباقي السائر، مالا يتأتى لغيرهم. فأنا أتقيهم ببعض النوال، ولا أتجاوز القصد"[٤٠]. ولعل الشاعرعرّض ببخل ابن الزبير المزعوم ؛ ليحظى بعطاء منه. وكان الحجاج مولعاً بالنيل من خصومه، ورميهم بكل نقيصة.

ج – محمد بن عبد الله النميري:

وإن كان أهل الحجاز يسمون الحجاج بالملحد والمحل لإحلاله الكعبة. وهذا الشاعر النميري يتغزل بزينب أخت الحجاج، فيقول[٤١]:

ألا مَنْ لقلبٍ معنّى غَزِل　　　يحب المُحِلةَ أختَ المُحِل

وكان محمد بن عبد الله النميري يهوى زينب هذه. ووقف كثيراً من شعره للتغزل بها؛ إذ شُغِفَ بحبها، ومما قاله[٤٢]:

تضوع مِسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشت　　　به زينبٌ في نِسوةٍ عَطِرَاتِ

يُخبِّئن أطراف البنان من التقى　　　ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

قال أبو زيد: فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فالْهُ عنه، وأعرض عن ذكره، فإنك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته، وإن عاقبته صدقته. ويهرب النميري من الحجاج ووعيده مذعوراً، فيقول الحجاج: لولا أن يقول قائل: صدق لقطعت لسانه، فهرب إلى اليمن، ثم ركب إلى بحر عدن، وقال في هربه[٤٣]:

أتتني عن الحجاجِ والبحرُ بيننا　　　عقاربُ تسْرِي والعيونُ هواجعُ

فضِقتُ بها ذرعاً وأجهشتُ خيفةً　　　ولم آمن الحجاجَ والأمر فاظعُ

وما أمنت نفسي الذي خفت شرَّه　　　ولا طابَ لي مما خشيت المضاجع



إلى أن بدا لي رأس إسبيلَ طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تَنلْهُ الأصابع

وفي الأرض ذات العَرْضِ عنك ابنَ يوسف ... مَهامِهُ تَهْوي بينهن الهجارع

فإن نلتني حجّاجُ فاستشفِ جاهداً ... فإنَّ الذي لا يحفظُ اللهُ ضائع

فطلبه الحجاج، فلم يقدر عليه. وطال على النميري مقامه هارباً، واشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحجاج، فقال: إيه يا نميري ! أنت القائل فإن نلتني حجّاج فاستشف جاهداً، فقال: بل أنا الذي أقول:

أخاف من الحجاج ما لستُ خائفاً ... من الأسدِ العِرباضِ لم يَثْنِه ذُعْرُ

أخاف يديه أن تنالا مقاتلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه ستر

وأنا الذي أقول:

فها أنا ذا طَوَّفتُ شرقاً ومَغْرِباً ... وأُبتُ وقد دَوَّختُ كلَّ مكان

فلو كانت العَنْقاءُ منك تطير بي ... لخلتكَ إلا أن تصدَّ تراني

قال: فتبسم الحجاج، وأمنه، وقال له لا تعاود ما تعلم، وخَلّى سبيله. ولم يهجه الحجاج مخافة أن يفشو لذلك ذكر، وإن كانت الغربة قد طوحت بالنميري، وحسبه تلك العقوبة. وزينب هذه عابدة عفيفة.

د - عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

ولما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه، وبعث برأسه إلى عبد الملك، جلس على سريره، وأذن للناس فدخلوا. قام عبد الله بن الزَّبير الأسدي يمدحه، ثم استنشده ما قاله في الحجاج، فأنشده[٤٤]:

كأني بعبد الله يركب رَدْعَهُ ... وفيه سِنَان زاعِبيٌّ مُجَرَّبُ

وقد فرَّ عنه الملحدون وحلقت ... به وبمن آساه عَنْقاء مُغرِبُ

بكفيْ غلام من ثقيفٍ نمت به ... قريش، وذو المجد التليد مُعَتّبُ



فقال له عبد الملك: لا تقل غلام، ولكن همام، وكتب له بعشرة آلاف درهم أخرى.

ولما عزم الحجاج على الزواج من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو أمير المدينة يومها، أتى رجل سعيد بن المسيب، فذكر ذلك له، فقال: إني لأرجو أن لا يجمع الله بينهما... فإن أباها لم يزوج إلا الدراهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان، أبرد إلى الحجاج، وكتب إليه يغلظ له. يُقَصِّرُ به، ويذكر تجاوزه، ويأمره بتسويغ أبيها المهر، ويتعجل فراقها، ففعل. فما بقي أحد فيه خير إلا سرّه ذلك. فقال جعفر بن الزبير – وكان شاعراً – في هذه القصة(٤٥):

وجدت أمير المؤمنين ابنَ يوسف ... حَمِيّاً من الأمر الذي جئت تَنْكفُ

ولولا انتكاسُ الدهر ما نال مثلها ... رجاؤك إذ لم يرجُ ذلك يوسف

أبنتَ المصطفى ذي الجناحين تبتغي ... لقد رُمتَ خطباً قدرُه ليس يُوصفُ

وكان الحجاج يقول: "إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب"(٤٦).

هـ – جحدر بن مالك:

كم من شاعر هجر الأرض التي للحجاج عليها سلطان. فابتعدوا عن حومة سلطانه، فرقاً من عقابه. وإن كانت سطوته أحياناً على اللصوص والجناة، أمثال جحدر بن مالك الحنفي، إذ كان لصاً يقطع الطريق، وينهب الأموال. فكتب الحجاج إلى عامله – إبراهيم بن عربي – يوبخه بتلاعب جحدر به، ويأمره بالتجرد في طلبه، حتى يظفر به. فاحتال عليه، وأرسله إلى الحجاج فسجنه، فأرسل جحدر قصيدة إلى أهله، يقول فيها(٤٧):

تأوبني فبت به كنيعا ... همومٌ لا تفارقني حَوَانِ

وقولا جحدر أمسى رهيناً ... يُحاذِرُ وقعَ مصقولٍ يمانِ



يُحاذر صولةَ الحجّاجِ ظلماً وما الحجّاجُ ظلّاماً لجانِ

ويرميه الحجاج إلى أسد ضارٍ جائع، بعد أن غُلّت يده اليمنى إلى عنقه. وأعُطي سيفاً، فضربه جحدر ضربة خالط ذباب السيف لهواته، فخرَّ الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح. فقال أبياتاً يذكر فيها تقدمه إلى الليث وغلبته. ثم يلتفت إلى الحجاج فيقول(٤٨):

ولئن قصدت إلى المنية عامداً إني لخيرك يابن يوسف راجِ

وعلمت أني إن أبيت نزاله أني من الحجّاج لست بناجِ

ولَبَأسك ابن أبي عقيل فوقه وفضلته بخلائق أزواج

وقد يعمد الإنسان إلى المنية بين مخالب الضواري، هروباً من سطوة الحجاج. وجعله الحجاج من حاشيته.

وهذا عبد الله بن الحجاج الغطفاني يقف في صف خصوم بني مروان، فيخرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك، ثم يلحق بنجدة بن عامر، ثم كان مع ابن الزبير إلى أنْ قتل. ويطلبه الحجاج، فيلوذ بعبد الملك مسترحماً متضرعاً، حتى نال عفوه. وله فيه أبيات. "فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعرِّفه آثار عبد الله بن الحجاج، وبلاءه من محاربته، وأنه بلغه أنه أَمَّنَهُ، ويحرضه ويسأله أن يوفده إليه ليتولى قتله... فكتب عبد الملك إلى الحجاج... فلا تعرض له، ولا لأحد من أهل بيته إلا بخير"(٤٩).. وضنَّ الشاعر ببيت يذكر فيه الحجاج، ولم ينل الحجاج منه إلا التعبير عن الهلع والخوف الذي ركبه.

ويعهد عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف بولاية العراق، التي كانت كرمال قلقة خطرة، لا تكاد تثبت وتخلص لخليفة ولا لأمير. فكانت مهمته بالعراق عسيرة؛ فقد غلظت قلوب العراقيين بفعل الحروب المتطاولة في سبيل السلطة، فيدخل الحجاج الكوفة سنة خمس وسبعين للهجرة، على حين غفلة من أهلها،



فيشهر سيفه ووعيده في إقامة أودهم، وطأطأة أعناقهم، وانقيادهم لسلطانه. ومن أجل ذلك سفك الدماء، وركب الأصعب من الرواحل، وأخذ الناس بالعسف والخسف، "فما هاب الناس أميراً قط هيبتهم الحجاج"[٥٠].. فأذلهم كما أذل أشراف الحجاز وسراته.

لقد كان اختيار الحجاج والياً على العراق مؤشراً إلى الخطر الكامن فيه. ويعتلي الحجاج المنبر، ويحسر العمامة عن وجهه ؛ لينطلق بخطبته مرعداً متوعداً، مستهلها بهذا البيت[٥١]:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

ويهدرمنذراً مهدداً، وكأن السيوف تعانق اللحى، فهي بيد رجل مريرالعود، صلب المكسر. "أما والله إني لأحمل الشر محمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى".

هذا أوان الشدِّ فاشتدي زِيَمْ ... قد لفَّها الليلُ بِسوَّاقٍ حُطَم

ليس براعي إِبِلٍ ولا غنم ... ولا بجزّار على ظهر وضم

وكان الحجاج مولعاً بالشعر، كثير الاستشهاد به، ينزله في ثنايا حديثه منزلاً حسناً؛ ليبلغ به من التأثير ما يتطلع إليه.

ولما قَدِمَ الحجاج الكوفة، أشار عليه محمد بن عمير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء بن خارجة ابنته هند. فخطبها فزوجه أسماء ابنته، فأقبل عليه محمد متمثلاً يقول[٥٢]:

أمِنْ حَذرِ الهزال نكحتَ عبداً ... فصِهرُ العبدِ أدنى للهزال

فاحتملها عليه أسماء، وسكت عن جوابه. ثم أقبل على الحجاج يوماً، وهند جالسة. فقال: ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته، فإن من شأنها كيت



وكيت. فقال: أتقول هذا، وهند تسمع ؟ فقال: موافقتك أحب إلي من رضا هند. فخطبها إلى محمد بن عمير، فزوجه إياها. فقال: أسماء لمحمد بن عمير، وضرب بيده منكبه:

دونك ما أسديته يابنَ حاجب — سواء كعينِ الديكِ أو قُذّةِ النَسْرِ
بقولك للحجّاج إن كنتَ ناكحاً — فلا تَغْدُ هنداً من نساء بني بدر
فإن أباها لا يرى أن خاطباً — كفاءٌ له إلا المتوجَ من فِهر
فزوجتها الحجّاج لا متكارهاً — ولا راغباً عنه، ونعم أخو الصهر
فإن ترها عاراً فقد جئت مثلها — وإن ترها فخراً فهل لك من شكر

وكأني بالحجاج - وهو ينكح من بنات سراة القبائل وأشرافهم - يتطلع إلى إذلال هؤلاء، وطأطأة كبريائهم، مع ما في ذلك من إذبال للنفوذ القبلي، وليعلي من شأنه هو ومكانته، وما كان زواج هند منه إلا كرهاً وخوفاً من بطش الحجاج. ولندع هنداً تحدثنا عن نظرتها إلى الحجاج والزواج منه. "فقد دخل الحجاج ذات يوم على هند بنت أسماء، وهي تقول:

وما هندُ إلا مُهْرَةٌ عربيةٌ — سليلةُ أشراف، تجلَّلها بَغْلُ
فإن أنتجبْ مهراً كريماً فبالحرى — وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحل" (٥٣)

ولذا لا أستطيع أن أكتم ارتيابي من البيت "فزوجتها الحجاج لا متكارهاً.."، فالذي يتمنى الموت لابنته بعد أن يتجللها الحجاج، لا يكون راضياً عن هذا الزواج. ثم أليس أسماء بن خارجة هو القائل، بعد أن كتب إليه ولده مالك يسأله أن يدخل إلى الحجّاج، ويسأله في أمره - لما سخط الحجاج على مالك، وهرب منه(٥٤):

أبني فزارةَ لا تُعنُّوا شيخَكم — مالي وما لزيارة الحجاجِ
شبّهتُه شِبلاً غداةَ لقيتُه — يُلقي الرؤوسَ شَواخبَ الأوداج



لا تطلبوا حاجاً إليه فإنه بئس المؤمَّل في طِلاب الحاج
ياليت هنداً أصبحت مرموسة أو ليتَها جلست عن الأزواج

ووافق قدوم الحجاج العراق وقوف المهلب بإزاء الأزارقة، وقد ارفضّ عنه جنده، فنادى الحجاج في بعث المهلب، وأجَّلَهم ثلاثاً. ومن وُجِدَ بعدها سُفِكَ دمُهُ، وانتهب ماله، فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، أنا في البعث، وأنا شيخ كبير عليل، وهذا ابني وهو أشب مني. قال: ومن أنت ؟ قال عمير ابن ضابئ... قال: ألست الذي غزا أمير المؤمنين عثمان ؟ قال: بلى. قال: وما حملك على ذلك ؟ قال: كان حبس أبي، وكان شيخاً كبيراً... قال: إني لأحسب في قتلك صلاح المصرين، قم يا حرسي فاضرب عنقه. فقام إليه رجل فضرب عنقه، وأنهب ماله... فقال عبد الله بن الزَّبير(٥٥):

تخَيرْ فإما أن تزورَ ابنَ ضابئ عُميراً، وإما أن تزورَ المهلّبا
هما خطتا خسفٍ نجاؤك منهما ركوبك حولياً من الثلج أشهبا
فما إن أرى الحجّاج يغمد سيفه يدَ الدهرِ حتى يترك الطفل أشيبا

فذعر الناس، وخفّوا إلى المهلب، فلما تساقطوا عليه قال: "لقد قدم العراق أمير ذكر"(٥٦). "وكان الرجل إذا أخلَّ بوجهه الذي يكتب إليه زمن الخلفاء الراشدين، نُزِعَتْ عمامته، ويُقام للناس، ويُشهَّرُ أمره. فلما ولي مصعب... أضاف إليه حلق الرؤوس واللحى. فلما ولي بشر بن مروان زاد فيه، فصار يرفع الرجل عن الأرض، ويُسمَّرُ في يديه مسماران في حائط، فربما مات، وربما خَرّق المسمار كفه، فسَلِم. فقال الشاعر(٥٧):

لولا مخافةُ بشرٍ أو عقوبته وأن يُنَوَّطَ في كفيَّ مسمارُ
إذاً لعطلت ثغري ثم زرتكم إن المحبَّ لمن يهواه زوَّارُ



فلما كان الحجاج، قال: هذا لعب، اضرب عنق مَنْ يخلُّ مكانه في الثغر". فهابه الناس، وفَرِقوا من تهديده. فانطوت الصدور على هلع ووجل؛ إذ ينجز وعيده، ويعمل سيفه، فأقض مضاجع الناس. وهذا ما أفصح عنه الشاعر بقوله(٥٨):

كأنَّ فؤادي بين أظفار طائر	من الخوف في جوِّ السماءِ مُحلِّقِ
حذارَ امرئ قد كنتُ أعلم أنه	متى ما يَعِدْ من نفسهِ الشرَ يَصْدُقِ

ويذكر صاحب المعرَّب بيتين لا يخلوان من ارتعاشة خائف، وأمنيات فَرِق، ولو كانت سقيمة نكدة(٥٩):

وددتُ مخافةَ الحجاج أني	بكابلَ في استِ شيطانٍ رجيمِ
مقيماً في مَضَارِطِهِ أغني	ألا حيِّ المنازل بالغميم

و - سوَّار بن المُضَرَّب:

ضجر أهل العراق من سياسة الحجاج هذه. وعبر بعض الشعراء عن معارضتهم لها، ولو استحلسوا الخوف، فهذا سوَّار بن المُضَرَّب السعدي، ينكر إرغام الناس على اللحاق بجيش المهلب لمنازلة الخوارج. ولكنه يكتحل السهر، فتزعجه سطوة الحجاج، وترميه هارباً منه، من غير أن يمسك عليه عصيانه له، فيقول(٦٠):

أقاتليَ الحجّاجُ إنْ لم أزُرْ له	دَرابِ وأَتْرُكْ عندَ هِنْدٍ فؤاديا
فإن كانَ لا يُرضيكَ حتى تَردَّني	إلى قَطَرِيٍّ ما إخَالُكَ راضيا
إذا جاوزتْ دربَ المُجيزينَ ناقتي	فَباسْتِ أبي الحجّاج لما ثنانيا
أيرجو بنو مروانَ سمعي وطاعتي	وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا

فسوّار يتحدى سلطان الحجاج بعزة قبيلته بني تميم.



وأتى الحجاج البصرة، وسبقه جبروته؛ إذ حبقت من ضربة الحجاج الكوفة، فكان على أهلها أشد إلحاحاً وتهديداً ووعيداً، فأتي برجل من بني يشكر، وكان شيخاً أعور. فقال: أصلح الله الأمير، إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر - بن مروان -، وقد رددت العطاء، فقال: إنك عندي لصادق. ثم أُمِر به فضُرِبتْ عنقه. ففي ذلك يقول كعب الأشقري، أو الفرزدق[٦١]:

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة تقرقر منها بطنُ كل عريفِ

فانجفل الناس، وذعروا من ضربة الحجاج، ولحقوا سراعاً بالمهلب، فعظم جنده، وقوي ظهره، بعد أن تسللوا عنه، فقال الشاعر[٦٢]:

قل للمهلب قد أتتك معاشر حُشِروا إليك كحشر أهل البرزخِ

طاروا إليك برأس كل طِمِرَّةٍ جرداءَ، تحمل كل قرم أبلخ

إني أرى الحجّاج يقطع أذرعاً بأكفها، ورؤوس قوم تُشدخِ

أخذ البريءَ بما جناه غيره إن السعيدَ هناك من لم يلطخ

أودى عمير والقتال سبيله قل للعصاة تحرزي أو دربخي

واستقى الشاعر معاني أبياته من خطبة الحجاج التي توعد بها أهل العراق. فلا بد من أخذ البريء قبل المذنب، فالعصاة لا يصلحهم إلا السيف، وبخاصة إذا كانوا يستقوون بعز قبائلهم.. وهذه السياسة أججت نيران الغضب وراء الحنايا، فانطوت جوانحهم على حقد عميق على الحجاج وأسياده. فثار الناس بالبصرة، وعلى رأسهم عبد الله بن الجارود. وكانت شرارة الثورة هذه حرمان أهل البصرة من الزيادة في أعطياتهم. قال الحجاج: "إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم، زيادة فاسق منافق. ولست أجيزها، فقام إليه ابن الجارود العبدي - سيد البصرة - فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا، فكذبه وتوعده. فخرج ابن الجارود على



الحجاج وتابعه وجوه الناس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه برستقباذ"[٦٣]. وكانت ثورتهم لإخراج الحجاج من العراق. ورثى أعشى ربيعة ابن الجارود – وكان مرواني الهوى – فغضب عليه الحجاج، وما نجاه من بطشه إلا اعتذاره إليه بشعر حماسي، فيه رنة فرق وأسى، مظهراً هلعه من نقمة الحجاج، فقال[٦٤]:

أبيت كأني من حذار ابن يُوسُفٍ   طريدُ دمٍ ضاقتْ عليه المسالكُ

ولو غيرُ حجّاجٍ أراد ظُلامتي   حَمَتني من الضّيم السُّيوفُ الفواتك

وفتيانُ صدقٍ من ربيعة قُصرةً   إذا اختلفت يوم اللقاء النيازك

وأتي الحجاج بخليفة بن هرماس – وكان مع ابن الجارود – وقد ضُرب على وجهه، فقال له الحجاج: من أنت ؟ قال: أحد الفجرة الكفرة. قال: خلوا سبيله. فقال له سويد بن الصامت العجلي: هذا الذي يقول[٦٥]:

فلله حجّاج بن يوسف حاكماً   أراق دماءَ المسلمين بلا جرم

فأمر بخليفة فقتل.

وإذا تهيب بعض الشعراء حمل الأسنة بوجوه الطغاة، فقد سلوا ألسنتهم للنيل منهم. وجراحات الهجاء أقسى عند الحجاج من جراحات السيوف. فهذا الأحمر بن سالم المري – وكان مع ابن الزبير – يهجو الحجاج، وينال منه، فيجعله دعياً من بقايا ثمود، ولا يمت بنسب إلى قيس عيلان، فيقول[٦٦]:

ثقيف بقايا من ثمودٍ ومالهم   أبٌ ماجدٌ من قيسِ عيلانَ يُنسَبُ

وأنت دعيٌّ يابنَ يوسفَ فيهم   زَنيمٌ إذا ما حُصّلوا يَتَذَبْذَبُ

ولم يكن الحجاج مزوراً عن النزعة القبلية، وانتمائه الثقفي، فكان يقرب رجال ثقيف، ويمكن لهم في أعمال الدولة. فأخوه عامله على اليمن، وزوج أخته الحكم بن أيوب الثقفي، نائبه على البصرة. ودعا يزيد بن الحكم الثقفي،



فولاه كورة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودعه، قال له الحجاج – وكان مغرماً بالمديح، طالباً له –: أنشدني بعض شعرك. وإنما أراد أن ينشده مديحاً له، فأنشده قصيدة يفخر فيها، ويقول:

وأبي الذي سلبَ ابن كسرى رايةً بيضاءَ تَخْفقُ كالعُقَابِ الطائرِ

فلما سمع الحجاج فخره، نهض مغضباً، فخرج يزيد من غير أن يودعه، فقال الحجاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا ردّهُ فقل له: أيهما خير لك، ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد، وقال: قل له:

ورِثتُ جدّي مجدَه وفَعَاله وورثتَ جدَّك أعنزاً بالطائف

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك(٦٧)..

وذكر صاحب خزانة الأدب أبياتاً أخرى، عدل بها يزيد بن الحكم عن المديح إلى الفخر بآبائه ورهطه بني كعب، فقال(٦٨):

ومن يكُ سائلاً عني فإني أنا ابن الصيد من سلفيْ ثقيفِ

وفي كعبٍ ومَنْ كالحي كعبٍ حللتُ ذؤابة الجبل المنيفِ

وكان الحجاج شديداً على من يعارضه، ويحرك على سلطانه الناقمين، فيطاردهم. فيلتمس هؤلاء المطاردون من الشعراء خاصة الأمن والحماية في ظل الخليفة. وإن وقع بيد الحجاج يلقى من العذاب ألواناً، والقتل نهاية، كما فعل بالأحمر بن سالم؛ إذ أحرقه الحجاج في النار بالعراق. ومن يفلت من براثنه، فلن يخليه من هجاء وتقريع، وثلب وانتقاص. وفيما يأتي أبيات اختلف الأدباء في قائلها، واتفقوا على خوفه وهلعه من الحجاج، بل هروبه من بطشه، مخلفاً فيها هجاءً مراً. يقول(٦٩):

فإن تنصفونا آل مروانَ نقترب إليكم وإلا فأذنوا بِبِعادِ

فماذا عسى الحجّاجُ يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد



فباست أبي الحجّاج واست عجوزه　　عُتيّدُ بُهمٍ يرتعي بوهاد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسفٍ　　كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المُقِرُّ بذله　　يراوح غِلمانَ القُرى ويُغادي

قال ذلك لأن الحجاج كان هو وأبوه معلمين بالطائف، وكان لقبه كليباً. وفي ذلك يقول القائل(٧٠):

أينسى كليبٌ زمانَ الهُزالِ　　وتعليمَه سورةَ الكوثرِ
رغيف له فَلْكَةٌ ما تُرى　　وآخر كالقمرِ الأزهر

يريد أن خبز المعلم مختلف.

وكما كانت القبيلة تستظهر بشاعرها، كان الشاعر يستظهر بقبيلته، ويحتمي بها. ولكن الشاعرلا يستطيع أن يكظم همومه ومواجعه التي صحاها وعيد الحجاج، فيسترحمه لعله يحظى براحة وأمن. فقد قطع الخوف فؤاده، ورماه حائراً في المهامه والقفار، لا تعرف عينه الغمض، وما اقترف جنايةً يعاقب عليها. فهذا عبيد بن أيوب يكتب إلى الحجاج بعد طلبه له، وهروبه منه(٧١):

أذقني النومَ أو سَلْ حقيقة　　عليَّ، فإن قامت ففضلِ بنائِيا
خلعت فؤادي فاستطار فأصبحت　　ترامى به البيد القفار ترامِيا

وحديث الخوف من الحجاج فن أجاده الشعراء هؤلاء.

وكان الحجاج أول من أجرى السفن المقيرة المسمرة والمدهونة والمسطحة، وغير ذات الجؤجؤ. وكان أول من عمل المحامل، وحُمل فيها الحجاج بن يوسف. فقال بعض رجّاز الأكرياء(٧٢):

أولُ عبدٍ عمل المحاملا　　أخزاه ربي عاجلاً أو آجلا

وقال آخر:

شيب أصداغي فَهنَّ بيض　　محامل لقدها نفيض



ز - كعب الأشقري:

وتتنفس المشاعر المكظومة وراء الحنايا ثورات مهلكة، بعد أن غلت مراجل المقت والانتقام، كادت أن تذهب بالأمويين ودولتهم. ولعل إخلاص الولاة كالحجاج وقادته أمسك عليهم إلى حين، فتحركت الخوارج، وتفاقم خطرهم، فأزعج الحجاج الناس إلى قتالهم، ولم تنقطع البعوث إليهم. وأوقف المهلب لمنازلتهم واجتثاثهم، فكان يتتبعهم من مكان إلى آخر. وحين تمكن من رقابهم، أرسل إلى الحجاج كعباً الأشقري، ومُرّة بن التليد الأزدي - وهما من الفرسان الأبطال - بخبر هزيمتهم. فلما قدما على الحجاج، ودخلا داره، بدر كعب الأشقري بالإنشاد، فقال(٧٣):

يا حفص إني عداني عنكم السفرُ … وقد سهِرتُ فآذى عينيَ السهرُ

واشتدت الحربُ والبلوى وحلَّ بنا … أمر تُشمّرُ في أمثاله الأُزُرُ

وخَصَّ الشاعر رائعته هذه بوصف المعارك، بعد مطلع غزلي سريع، ومديح للملهب. وحديث عن مشاهد البطولة، ومواقف الإقدام، ترف عليهم ألوية النصر، حتى تركوا الخوارج صرعى تدوسهم الخيول بسنابكها.

ولم ينس الفخر بقومه الأزد، وطرب الحجاج لهذه الملحمة، فأجازه بمال كثير، وأرسله إلى عبد الملك لينشده الرائية الكبرى هذه. وكان الشاعر فيها طويل النفس، رفيع الأسلوب، دقيق التصوير، احتذى تقاليد القصيدة الجاهلية. وكان المهلب من القادة الفرسان، الخبيرين بشأن الحروب والمجابهة والمكايدة. فيعمل سنانه وجنانه في منازلة الخوارج ومكايدتهم. فيحفظ جنده، ويهلك خصومه. وكان الحجاج متعجلاً في الأمور، متسرعاً في الإقدام، فكتب إلى المهلب يأمره بمناجزة الأزارقة، ويستبطئه، ويضعِّفه ويعجِّزه في تأخير أمرهم ومطاولتهم، "فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك.. فانهض إليهم.. ثم



جاهدهم أشد الجهاد"[٧٤]. فاستلهم كعب الأشقري ردَّ المهلب على الحجاج، فنال منه، وهجَّنَ رأيه، وذكّره ببراعته باللهو. فقال[٧٥]:

إنَّ ابن يوسف غرَّهُ من غزوكم ... خَفْضُ المُقام بجانب الأمصار

لو شاهد الصَّفين حين تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبة الأقطار

ورأى معاوَدةَ الرِّباع غنيمةً ... أزمانَ كان مُحالِفَ الإقتار

فَدَعِ الحروب لشيبها وشبابها ... وعليك كل خَرِيدةٍ مِعْطار

فبلغت أبياته الحجاج، فكتب إلى المهلب بأمره بإشخاص كعب إليه. فأعلم المهلب كعباً ذلك، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه... واستنشده فأعجبه ما سمع منه... فأوفده إلى الحجاج، وكتب إليه يقسم عليه أن يعفو عنه.

وكان الحجاج قد أوفد برسالته تلك إلى المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي، وشهد جولة من جولات المهلب الدامية مع الخوارج، ففرَّ الثقفي، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة[٧٦]:

ما زلتَ يا ثقفيُّ تخطب بيننا ... وتغُمُّنا بوصيّةِ الحجاجِ

حتى إذا ما الموت أقبل زاخراً ... وسما لنا صِرْفاً بغير مزاجِ

وليّت يا ثقفيُّ غيرَ مُنَاظر ... تنساب بين أحِزَّةٍ وفِجاج

ليست مُقَارَعةُ الكُماة لدى الوغى ... شُربَ المُدَامةِ في إناءِ زجاج

ح - عمران بن حطان وشعراء الخوارج:

ويخرج صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد الشيباني، ومعهم رؤوس الخوارج، ويهزمون بعث محمد بن مروان أمير الجزيرة هزيمة منكرة، ويحتوون على مافي معسكرهم، فيبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث



بن عميرة، فيصبر الخوارج، وينكشف اللقاء عن مقتل صالح. وكان شبيب قد صرع عن فرسه، وخرجت الخوارج ثانية، وبيتوا جيش الحجاج، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الناس إلى المدائن منهزمين. فتوجه شبيب نحو الكوفة، وهزم بعثاً جديداً للحجاج، وهرب الحجاج إلى البصرة، وقد توالت عليه الهزائم وكانوا كالشجى في حلقه. ثم عاد إلى الكوفة قبل وصول شبيب. ودخل شبيب الكوفة، ومعه زوجته غزالة، التي نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين، وكانت أخت الرجال شجاعة وبأساً، وكان الحجاج قد هرب منها في بعض الوقائع، فتحصن الحجاج، وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان، وقد لجّ الحجاج في طلبه. قال(٧٧):

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ ... رَبداء تَجفُلُ من صفيرِ الصافر

هلا برزتَ إلى غزالةَ في الوغى ... بل كان قلبُكَ في جَنَاحيْ طائر

صدعتْ غزالةُ قلبَه بفوارس ... تركتْ مدابرَهُ كأمسِ الدَّابر

ألقِ السلاحَ وخُذْ وِشاحيْ مُعْصِرٍ ... واعمد لمنزلة الجبان الكافر

وانتهى شبيب إلى السوق، ثم شدَّ حتى ضرب باب قصر الحجاج.. ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة، ثم قال(٧٨):

وكأنَّ حافِرَهَا بكل خَمِيلةٍ ... كَيلٌ يكيل به شحيح مُعْدِمُ

عبدٌ دعيّ من ثمود أصلهُ ... لا بل يُقال أبو أبيهم يَقْدُمُ

وقال عبد الواحد الأزدي الخارجي، والحسرة تنهش فؤاده، لأنه لم يشهد هزيمة الحجاج وجيش الخوارج يستظهر عليه(٧٩):

يا ليتني في الخيل وهي تدوسهم ... في السوق يوم الظَّفر بالحجاج

بأخي ثمودَ وقربِ ما أخطأته ... ولقد بلغن العذر في الإدلاج

والشاعر هنا لا ينال من الحجاج نسباً؛ لأن الخوارج يكادون يلتزمون ميزان



"إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وإن كنا لا نبرئ بعضهم من الولاء القبلي. والحجاج كما يرون قرين هؤلاء العتاة الظلمة الكفرة. ولذا استجاب سبرة بن الجعد الخارجي - وكان جليساً للحجاج - لدعوة قطري له أن يفارق الحجاج مفارقة الكفار واللصوص الجاحدين، ليلحق بإخوانه المؤمنين الشراة. فتركه وخلف له قصيدة يقول فيها(٨٠):

فمن مبلغ الحجّاج أن سميره   قلى كلَّ دينٍ غيرِ دين الخوارجِ

رأى الناسَ إلا من رأى مثلَ رأيه   ملاعينَ ترّاكينَ قصد المناهج

إذن لرأيت الحقَ منه مخالفاً   لِدِينك، أنْ كنت امْرَأً غير فالج

ولذا كان الحجاج يشتد عليهم، ويعمل على استئصال شأفتهم. وقلّ أن تأخذه رأفة بهم. ومن تلك المواقف التي تذكرها كتب التاريخ أن خارجياً قُدِّم إلى الحجاج ليقتله، فدخل عليه نسوة من أقاربه، فقالت إحداهن(٨١):

أحجّاج لو تشهد مقام بناته   وعماته يندبنَ بالليل أجمعا

أحجّاج إما أن تَمُنَّ بتركه   علينا وإما أن تقتّلنا معا

أحجّاج لا تُفْجِعْ به ونسائه   ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا

فَمنْ رجل دانٍ يقوم مقامه   علينا، فمهلاً لا تزدنا تضعضعا

فمنَّ عليه الحجاج. إشفاقاً على أولئك النسوة الضعاف، وتأثراً بالأبيات الشعرية الباكية التي حركت في صدره نوازع الرحمة والرأفة.. والحجاج على الرغم من جلافته وغلظته يرق إذا أحسن المتكلم استعطافه، ووفق إلى قول مؤثر. أُحضر إلى بساطه رجل تعين عليه القتل قوداً. "فلما فرش النطع وسُلَّ السيف، اتفق أن ملأ عينه من حاله تلك، فرأى بريق السيف، ولمعان برق، فاستنظر. ثم أنشد مرتجلاً (٨٢):

تألق البرقُ من نجدٍ فقلت له   يا أيها البرقُ إني عنك مشغولُ



يكفيك ما قد ترى من ثائرٍ حَنِقٍ في كفه كصبيب الماء مسلولُ

فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه، وجودة شعره، عطف عليه إشفاقاً، وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته.." وإذا كانت الخوارج لا ترى إلا القتل للمخالفين فإن فيهم من يأسره الإحسان، ويقيده الفضل. فهذا رجل منهم يقع في قبضة الحجاج، فيمنّ عليه ويطلقه، فقال له قطري بن الفجاءة: راجع قتال عدو الله. قال: هيهات، غَلَّ يداً مُطْلِقُها، واسترقَّ رقبةً معتقها، وأنشده(٨٣):

أأقاتل الحجّاجَ عن سلطانه بيدٍ تُقِرُّ بأنها مولاته

وتحدث الأقوامُ أن صنائِعاً غرست لديّ فحنظلت نخلاته

ولم يتوان الحجاج في مطاردتهم لقطع دابرهم، فقد كادت الموجات المتلاحقة الملحة عليهم أن تفنيهم.

ولئن خبت جذوة الخوارج، ولكن الثورات على الحجاج لم تنقطع. وكلها تمثل صوت النقمة على سياسته، واستئثاره بالفيء، والتسلط والخسف، والتسرع إلى سفك الدماء. وفي تلك الأيام كان المغيرة بن المهلب يجبي الخراج لأبيه، ومعه الرُّقَاد – أحد بني مالك بن ربيعة – فلا يعطيان الجند شيئاً، وفي ذلك يقول رجل منهم، وأحسبه من بني تميم، في كلمة له(٨٤):

ولو علم ابن يوسف ما نلاقي من الآفات والكُرَبِ الشداد

لفاضت عينُهُ جَزَعاً علينا وأصلح ما استطاع من الفساد

ألا قل للأمير جُزِيتَ خيراً أَرِحْنَا من مغيرةَ والرُّقَاد

وما أدري كيف يستجير هذا من الرمضاء بالنار. فلو عفَّ الحجاج عن الأموال، لعفّت عماله، ولم تستأثر بها، ولكن ليت ولعل.

ولم تكن جولات الخوارج العاتية إلا واحدة من الموجات الهادرة، والكوارث



المتتابعة، التي صمد لها الحجاج. واستطاع أن يحفظ على المركب المرواني سلامته وسيره. ولو جدف في دماء الثائرين والمقهورين، الذين شحنت صدورهم مقتاً وسخطاً على سياسة الحجاج، واستخفافه بالدماء والحرمات، وتسليط الظلمة أمثاله على العباد، لتطبيق سياسة العصا الغليظة؛ إذ كان يأخذ على الظنة، ويقتل على الغضب، فكافأه عبد الملك على استذلاله الرعية بإمرة خراسان وسجستان - مع إمارته العراق - والبلاد التي فتحتها جيوشه.

ولكن يمنى جيش الحجاج بمقتلة عظيمة في بلاد الترك، بعد أن أخذوا عليه الطرق والشعاب، ومن سلم من جيوش الترك، لم يسلم من الموت جوعاً وإعياء؛ إذ كان الحجاج يُلِحُّ على قائده عبد الله بن أبي بكرة أن يستبيح أرض رتبيل، ويهدم قلاعه، ويقتل مقاتلته. ففعل ووقع في مكيدة الترك. وأراد الحجاج أن يثأر من رتبيل، فجدَّ في الإعداد له وشمّر، وأنفذ جيشاً عظيماً، لم يُرَ مثله عدة وعتاداً، حيث الخيول الفارهة، والسلاح الكامل (جيش الطواويس)، وأَمَّرَ عليه عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث. فتوغل في بلادهم، ثم توقف مخافة على جيشه، وإنعاشاً له، واستعداداً لزحف جديد. فلم يعجب الحجّاج فعله، فكتب إليه يضعفه ويجبّنه ويعجزه، وأمره بالمضي في أرض العدو، فأعلم الناس برسالة الحجاج، فثار الناس، وخلعوا الحجاج، وبايعوا ابن الأشعث على: "خلع الحجاج عدو الله، وعلى النصرة له وجهادهم معه حتى ينفيه الله من أرض العراق"[٨٥].. وتوجه ابن الأشعث من سجستان مقبلاً إلى العراق بجيشه. وفي طريقهم خلعوا عبد الملك. وجددوا البيعة لابن الأشعث على كتاب الله وسنة رسوله، وخلع أئمة الضلال وجهاد المحلين.

ط - أعشى همدان:

على الرغم من استطالة أيام هذ الثورة، ومرارة القتال في جولاتها المتلاحقة، واشتراك وجوه الناس فيها، من علماء وفقهاء وعباد، فإن ما انتهى



إلينا من أشعار، لم تكن بحجم عنفها وسعتها.. وإن كان من سبب لذلك، فهو ضراوة الأحداث، وتهيب الناس من رواية تلك الأشعار؛ لأنها لن تسلم من ضُرِّ الحجاج، الذي سينال النصيب الأوفر من الهجاء، لأنه رمز القهر والجور، وسيكون الثناء لفرسان الثورة وموقديها.. ولعل في تلك الأشعار التي سلمت من ذاك الضُرِّ دليلاً على ذلك. فهذا شاعر الثورة أعشى همدان، الذي أشهر سنانه ولسانه فيها، لم يكد يتعدى هذين الغرضين، هدماً وبناءً(٨٦):

شطت نوى من دارُهُ بالإيوانْ　　إيوان كسِرى ذي القُرى والريحان

إن ثقيفاً منهم الكذّابانْ　　كذَّابُها الماضي، وكذَّابٌ ثان

أمْكَنَ ربي من ثقيف هَمْدانْ

إنَّا سمونا للكفور الفتّان　　حين طغى في الكفر بعد الإيمان

بالسيد الغِطْرِيفِ عبد الرحمن　　سار بجمع كالدبى من قحطان

فقل لحجّاجٍ وليِّ الشيطان　　ليثبت لجمع مَذْحِج وهمدان

فإنهم ساقُوه كأس الذَّيفان

يبرز الأعشى دور مذحج وهمدان في هذه الثورة، وعلى رأسهم سليل ملوك اليمن ابن الأشعث. وقد خفوا إلى مقارعة الحجاج، يسقونه كأس الموت، لعل الله يمكن منه. وفحيح العصبية القبلية لا يخفى في هذه الأبيات؛ إذ إن لحمة الولاء التي كانت تربطهم بعشائرهم فرضت على كثير من الشعراء التعصب لتلك العشائر، ولم تكن ثورة القراء والعلماء بدافع العصبية، وإنما نفروا غضباً لله ولدينه.

وبعث ابن الأشعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري، فبعث الحجاج إليه الخيل، فجعل لا يلقى خيلاً للحجاج إلا هزمها، فقال الحجاج: من هذا ؟ فقيل له: عطية. فذلك قول الأعشى(٨٧):



مَـنْ مُـبـلـغ الـحـجَّـاج أنْـ ... نـي قـد نـبـذت إلـيـه حـربـا

يـا بـن الأشـجِّ قـريـع كـنـ ... ـدة لا أبـالـي فـيـك عـتـبـا

أنـت الـرئـيـس ابـن الـرئـيـ ... س وأنـت أعـلـى الـنـاس كـعـبـا

نُـبّـئـتُ أن بُـنّـي يـوسـ ... ف خـرَّ مـن زَلَـقٍ فـتـبّـا

فـانـهـض فـديـت لـعـلـه ... يـجـلـو بـكَ الـرحـمـنُ كـربـا

فـابـعـث عـطـيـة فـي الـخـيـو ... ل يَـكُـبُّـهُـنَّ عـلـيـك كـبـا

وأظن أن هذه الأبيات قد حركت نوازع البطش والمقت في صدر الحجاج، وأججت جذوة الانتقام في حناياه. إذ مسَّ الشاعر الجرح الغائر في شخصية الحجاج، فهو كرب وبلاء يتطلع الناس إلى كشفه. وقد يكون لهذه الأبيات وقع شديد في نفوس الثائرين. فلما علق الشاعر في مخالبه ذكَّرَهُ بها، وإن كانت لم تغب عن خاطره، إذ خرج الحجاج في أيامه تلك، يسير ومعه حميد الأرقط الشاعر، وهو يقول(٨٨):

مـا زالَ يـبـنـي خـنـدقـاً ويَـهـدِمُـهْ ... عـن عـسـكـرٍ يـقـوده فـيُـسـلِـمُـهْ

حـتـى يـصـيـرَ فـي يَـديـكَ مَـقْـسـمُـهْ ... هـيـهـاتَ مِـن مـصـفِّـه مُـنـهَـزَمُـهْ

إنَّ أخَـا الَـلـظَـاظ مَـنْ لاَ يـسـأمُـهْ

فقال الحجاج: هذا أصدق من قول الفاسق أعشى هَمدان:

نـبـئـت أن بُـنَـيَّ يـوسـ ... ف خَـرَّ مـن زلـقٍ فـتـبـا

قد تبين له من زلق وتب، ودحض فانكب.

فابن الأشعث كان من سلالة ملوك اليمن، وثقيف لا تجاريهم وكل مديح لقائد الثورة صواعق تتناوش الحجاج، وإضرام لجذوة النقمة والسخط على الحجاج وأسياده. ولم يخف الأعشى رغبته ورغبة قومه همدان، - الذين كانوا



أشد الناس حماسة لهذه الثورة - في عودة الملك إليهم. فيقول مخاطباً ابن الأشعث[٨٩]:

يأبى الإله وعزة ابن محمد	وجدود ملك قبل آل ثمود
كم من أب لك كان يعقد تاجَه	بجبين أبلج مِقْولٍ صِنديد
وإذا دعا لعظيمة حُشِدَتْ له	همدانُ تحت لوائه المعقود
ما قصّرت بك أن تنال مدى العلى	أخلاق مكرمة وإرث جدود

ي - الطفيل بن عامر بن واثلة:

ولم يخف صوت التهديد والوعيد من الثائرين، فهم سوط عذاب على الحجاج وعسكره، مع هجاء يجلجل في ثنايا ذاك الوعيد. فهذا الطفيل بن عامر بن واثلة يقبل مع ابن الأشعث متوعداً الحجاج، فيقول[٩٠]:

أتوكَ يقودون المنايا وإنما	هَدَتها بأَولانَا إليك ذُنُوب
ألا أبلغِ الحجّاج أنْ قد أظلَّه	عذابٌ بأيدي المؤمنين مصيب
متى نهبط المصرين يهرب محمدٌ	وليس بمُنجي ابن اللعينِ هروب

لقد أفسد الحجاج الناس بجوره، وألَّبهم على السلطان.

ك - أبو جلدة اليشكري:

ولم يكن الشاعر أبو جلدة اليشكري غائباً عن هذه الزحوف الثائرة - مع علاقته الحميمة السابقة مع الحجاج، إذ كان من أخصِّ الناس به - بل استطاع تحريك الناس على الحجاج وإثارتهم عليه. وكان الحجاج قد بلغه دوره الكبير في ذلك، فقال: "ما حرّض علي أحد كما حرض أبو جلدة" مع تقدمه عسكر ابن الأشعث مرتجزاً[٩١]:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا	مالكَ يا حجّاجُ منّا مَنْجَى



لَتُبْعَجَنَّ بالسيوف بَعْجا أو لَتَفِرنَّ فذاك أحجى

فو الله لقد كاد أهل الشام يومئذ يتضعضعون لولا أن الله تعالى أيد بنصره. ولما كان يوم الزاوية خرج أبو جلدة بين الصفين، ثم أقبل على أهل الكوفة محرضاً، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها(٩٢):

فقُلْ للحواريات يبكين غيرنا ولا تَبكِنا إلا الكلابُ النوابحُ
ونادينا: أينَ الفرارُ وكنتم تغارون أن تبدو البُرَى والوشائحُ
أأسلمتمونا للعدو على القنا إذا انتُزِعَتْ منها القرونُ النواطح
فما غار منكم غائر لحليلةٍ ولا عَزَبٌ عزّت عليه المناكح

قال: فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا، وتضعضع لهم عسكر الحجاج. ومع أن الشاعر توفر بشعره على إلهاب حماسة القوم، وزجهم في مواجهة دامية مع جيش الحجاج.. ولكنه في الوقت نفسه حرّك هواجس القلق والخوف من شبح الهزيمة، إن حلّت بهم، فأنشب في صدورهم أظفار الهلع من جند الشام، فقد يستبيحون النساء والأموال، ولا يحفظ عليهم حرماتهم وكرامتهم إلا حملة صادقة يحملونها عليهم.

وبعد وقائع رهيبة، لم تكن دير الجماجم آخرها، ضرب الحجاج ضربته الأخيرة التي بددت جيش ابن الأشعث. وألحقت به الهزيمة منكرة، وإن كان القرّاء وأهل الفقه والفضل مستبصرين في قتالهم.. لقد حرص القوم وجدوا في إسقاط سيوف القهر، ولكن الله أبى أن يكون إلا ما يريد. وفرَّ ابن الأشعث مع بعض الفَلِّ نحو سجستان، فتبعهم الشاميون، ودخلوا قصراً بمفازة كرمان، فإذا فيه كتاب، قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري، وهي قصيدة طويلة، ضمنها حديث الغمِّ والألم لما حلّ بهم، فيقول(٩٣):

أيا لهفي ويا حزني جميعاً ويا غمَّ الفؤاد لما لقينا



تركنا الدينَ والدنيا جميعاً وخلّينا الحلائلَ والبنينا
فما كنا أناساً أهلَ دينٍ فنصبرَ في البلاء إذا ابتُلِينا
وما كنا أناساً أهلَ دنيا فنمنَعها ولو لم نرجُ دينا
تركنا دورنا لِطَغامِ عَكٍّ وأنباطِ القُرى والأشعرينا

إنه اجترار لآلام الهزيمة التي مني بها قومه، وحسرة على إخفاقهم، وسخط يصبه على جند الشام من اليمنيين، وعتاب مرٌّ لأولئك الذين فتروا عن الصمود لأعدائهم، وفرّوا مخلفين الديار والنساء لهم ولأنباط العراق. إنها زفرات أسد جريح، أقعدته جراحه كسيراً، يتبين سبب الفشل الذي تردى به. ما كنا بررة أتقياء، ولا فجرة أشقياء. ويقع الأعشى شاعر الثورة أسيراً، فأتي الحجاج به، فقال: إيه يا عدو الله ! أنشدني قولك: "بين الأشج وبين قيس باذخ"، أنفِذ بيتك. قال: بل أنشدك ما قلت، قال: بل أنشدني هذه، فأنشده(٩٤):

أبى اللهُ إلا أن يُتَمِّمَ نُورَه ويُطفئ نار الفاسقين فيخمدا
ويُنزل ذُلاً بالعراقِ وأهلِهِ لِما نقضوا العهدَ الوثيقَ المؤكدا
وما لبِثَ الحجّاجُ أن سَلَّ سيفه علينا، فَولّى جمعُنا وتبددا
نزوا يشتكون البَغي من أمرائهم وكانوا هم أبغى البُغاةِ وأعندا
وجبناً حشاه ربّهم في قلوبهم فما يقربون الناسَ إلا تهددا
وما نكثوا من بيعةٍ بعدَ بيعةٍ إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
ولما دلفنا لابنِ يوسفَ ضِلّةً وأبرقَ منا العارضان وأرعدا
فصادمنا الحجّاجُ دونَ صفوفنا كِفاحاً ولم يضربْ لذلك موعِدا
بجند أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى مُعاناً مُؤيّدا
ليهني أمير المؤمنين ظهوره على أمة كانت بُغاة وحُسَّدا



لقد شأم المصرين فَرخُ محمدٍ ... بحق، وما لاقى من الطير أسعدا
كما شأم الله النجير وأهله ... بِجَدٍّ له قد كان أشقى وأنكدا

فقال بعض من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فَخلِّ سبيله. فقال الحجاج: لا، لم يحسن. إنكم لا تدرون ما أراد بها. ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت تأسُّفَ ألا يكون ظهر وظفِر، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

بين الأشج وبين قيسٍ باذخٍ ... بَخْ بَخْ لوالده وللمولود

فاضطر الأعشى إلى إنشاده.

قال الحجاج: لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً، فقدمه فضرب عنقه.

إن فطنة الحجاج أبت أن تركن إلى قول ملحون. مهما أطال به الشاعر النفس مادحاً؛ إذ لم ينس قصائد الأعشى التي مس بها مواطن الأنفة والحمية من الثائرين، فأحالتهم جذوة متأججة، لا يبردها إلا الانتقام والظفر. وباءت كل محاولات إثارة الرأفة والرحمة في قلب الحجاج بالإخفاق، فأنكر أشعاره السالفة، ودبج له مديحاً.. وعلى الرغم من رنة الاستعطاف التي تتماوج في أرجاء القصيدة، مزاوجة بين المديح والهجاء، متسربلة غلالة الاعتذار، فإن الذي يكبره الإنسان في الأعشى انغماسه في الثورة، ووقوفه تحت سيف الحجاج مقيداً، غير هياب ولا وجل، على الرغم من مرارة الموقف الشاخص إلى السيف، فلم يشرق بريقه خوفاً، ولم تضطرب أوصاله جزعاً. يمدح الحجاج فروسية وهيبة.. وينال من زعيم الثورة وشؤمه، ولكن لم تلامس من الحجاج تأثراً وإشفاقاً، فقد جلَّ الأمر عن العفو؛ فالأحقاد والدماء والتراث لم تنس.

استهل الأعشى قصيدته بمطلع إسلامي خالص، استقاه من القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ...﴾(٩٥). ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾(٩٦).



وغيرها. ولا غرابة في ذلك. فالشاعر أحد القراء الفقهاء "ثم ترك ذلك، وقال الشعر"[٩٧].. ولم تخلُ القصيدة من لفح خطب الحجاج المرعدة، التي تهب من بين أعطاف الشاعر، وأجاد الأعشى في صياغة قصيدته، بعد أن اختار ألفاظها، وانتقى أفكارها ؛ لرفع الحجاج مكانة وسياسة، وليضع من ابن الأشعث، الذي ورث النكث والشؤم من جَدِّه، وممن تبعه من أهل التلون والإرصاد للفتنة، والنكوص في الحرب، ثم اعتراف بالهزيمة المرة. ولا ينكر ما في القصيدة من رمزية متدثرة بسرابيل الانفعالات الموارة في خاطر الشاعر، المتدفقة على لسانه. كما لا تخفى الخيوط الإسلامية، والعواطف الإيمانية في القصيدة مع التهذيب الفني والعذوبة. ويُسمع في قصائد الأعشى هذه حسيس العصبية القبلية؛ إذ يزهو بماضي همدان وسيادتهم، مُعَفّياً بذلك على الحديث عن الثورة وبواعثها ومآربها، وإن كانت سرابيل الفخر القبلي صاغها من خيوط تقليدية موروثة، تعبر عن شموخ قبلي وإباء شخصي، لم يغنيا عنه من سيوف الحجاج شيئاً.

وكان للموالي مشاركة كبيرة في ثورة ابن الأشعث، فعمل الحجاج على تفريق جماعتهم، فنقش على يد كل إنسان منهم اسم البلدة التي وجهه إليها. وفي ذلك يقول الراجز[٩٨]:

جاريةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبل ... أخرجها الحجّاج من كِنٍّ وظِلْ

ولما خرج ابن الأشعث، شُغِل عبد الملك أن يولي على الحج رجلاً، وكان الحارث بن خالد عامله على مكة، فخرج أبان بن عثمان من المدينة، وهو عامله عليها. فغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس، فنازعه الحارث. وقال له: لم يأتني كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، وتغالبا.. فحج بهم أبان. فقال الحارث بن خالد في ذلك، وهاجياً الحجاج[٩٩]:

فإن تنجُ منها يا أبان مسلَّما ... فقد أفلت الحجاجَ خيلُ شبيب



وكـاد غـداة الـديـر يُـنـفِـذ حـضـنَـه غـلامٌ بـطـعـن الـقِـرن جـدُّ طـبـيـب

وأنـسـوه وصـف الـديـر لـمـا رآهـم وحـسَّـنَ خـوفُ الـمـوت كل مـعـيـب

فلقيه الحجاج بعد ذلك، فاستعتبه، فاعتذر إليه الحارث. وقيل: إن أحد أنصار الحجاج، وهو عُبيد بن مَوْهَب، انبرى له بعد أن أذن له الحجاج في إجابته وهجائه، فقال(١٠٠):

أبـا وابـص رَكّـب عـلاتـك والـتـمـس مـكـاسـبـهـا إن الـلـئـيـمَ كـسـوبُ

ولا تـذكـر الـحـجـاج إلا بـصـالـح فـقـد عـشـت مـن مـعـروفـه بـذنـوب

ل – العديل بن الفرخ:

وفي تلك الأيام توجه العُديل بن الفَرخ إلى الحجاج منتجعاً، فلما صار ببابه حجبه الحاجب، فوثب عليه العديل، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني، ولا أولى بهذا الباب. فنازعه الحاجب الكلام، فأحفظه، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل عليه أنشأ يقول(١٠١):

لـئـن أرتـج الـحـجّـاج بـالـنـخـل بـابـه فـبـابُ الـفـتـى الأزدي بـالـعُـرفِ يُـفـتَـحُ

يـداه يَـدٌ بـالـعُـرف تُـنْـهِـبُ مـا حـوت وأخـرى عـلـى الأعـداء تـسـطـو وتـجـرَح

ولـيـس كـعِـلـجٍ مـن ثـمـودَ تَـكـفُّـهُ مـن الـجـود والـمـعـروف حَـزْمٌ مُـطَـوِّحُ

... وبلغ الحجاج خبرُه، فأحفظه. وكان العديل لا يحلُّ ببلدة إلا ريع لأثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد. ففي ذلك(١٠٢):

يُـخـشّـونـنـي الـحـجّـاج حـتـى كـأنـمـا يُـحـرَّك عـظـم فـي الـفـؤاد مَـهِـيـضُ

ودون يـد الـحـجّـاج مـن أن تـنـالـنـي بـسـاط بـأيـدي الـنـاعـجـات عـريـضُ

مـهـامـه أشـبـاه كـأنَّ سـرابـهـا مُـلاءٌ بـأيـدي الـغـاسـلات رحـيـضُ

إذا ذُكـر الـحـجـاج أضـمـرت خـيـفـة لـهـا بـيـن أحـنـاء الـضـلـوع نـفـيـضُ



وقيل: هرب عديل إلى قيصر الروم، واطمأن وقتاً ليس بطويل في جواره، ثم طالته يد الحجاج، ونزعته من مأمنه. إذ كتب إلى القيصر: "والله لتبعثن به، أو لأغزينك... فبعث به إلى الحجاج. فلما دخل عليه، قال: أنت القائل ؟: ودون يد الحجاج... فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ قال: أنا القائل[١٠٣]:

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابها	**لكان لحجّاج عليَّ دليلُ**
خليل أمير المؤمنين وسيفُهُ	**لكل إمام مصطفى وخليلُ**
بنى قُبةَ الإسلام حتى كأنما	**هدى الناس من بعد الضلال رسولُ**
به نصرَ اللهُ الخليفة منهم	**وثبّتَ ملكاً كاد عنه يزولُ**
ومن قطريٍ نِلتَ ذاك وحوله	**كتائب من رجّالةٍ وخيولُ**
ترى الثقلين الجن والإنس أصبحا	**على طاعة الحجاج حين يقول**

فعفا عنه وأطلقه". وقد زور عباءة إيمانية سابغة، وأحله مقعداً في السيادة والحزم مكيناً، ولو بالغ في كل ذلك، طلباً للنجاة من سنانه، فحظي الحجاج بمديحه الرائع، وقدم العديل على الحجاج مرة، فقال مادحاً له[١٠٤]:

دعوا الجبنَ يا أهل العراق فإنما	**يُهانُ ويُسبى كل من لا يقاتلُ**
لقد جرّدَ الحجّاج للحق سيفه	**ألا فاستقيموا لا يميلنَّ مائلُ**
وخافوه حتى القوم بين ضلوعهم	**كنزوِ القطا ضُمّتْ عليه الحبائلُ**
وأصبح كالبازي يُقلّبُ طرفَه	**على مرقبٍ، والطير منه دواحلُ**

فقال الحجاج لأصحابه: ما تقولون ؟ قالوا نقول: إنه مدحك. فقال: كلا، ولكنه حرض عليّ أهل العراق، وأمر بطلبه، فهرب. إنه تحريض مبطن بالمديح، يحرك به أهل العراق على عسف الحجاج وقهره لهم.

وهذا عمران بن عصام يوفده الحجاج إلى عبد الملك ؛ ليقدح في قلبه من ابنه



شيئاً في الولاية - وكان لعمران هذا لسان وشعر وجلد فاختاره الحجاج لتلك المهمة. وهكذا يكون رسله - فيفلح في عرض تلك الأمنية بقصيدة رائعة، اهتز لها الخليفة، وسُرَّ بها الحجاج؛ إذ صادفت هوى في صدريهما، ثم لحق عمران بابن الأشعث، فسأل عبد الملك عنه، فقيل له: قتله الحجاج، قال: ولمَ ؟ قيل: خرج مع ابن الأشعث، قال: ما كان ينبغي أن يقتله بعد قوله - وهو يمدح الحجاج -[١٠٥]:

وبَعثت من ولد الأغرِّ مُعتِّبٍ ... صقراً يلوذ حمامه بالعوسَجِ

فإذا طبخت بناره أنضجتها ... وإذا طبخت بغيرها لم تُنضجِ

وهو الحِمامُ إذا أراد فريسةً ... لم يُنجها منه صريخُ الهجهجِ

❊ ❊ ❊

رفع المسيهما

ثالثاً - مدّاح الحجاج من فحول الشعراء والرجاز

أ - أبو النجم العجلي:

يفدُ الشعراء وغيرهم إلى الحجاج مهنئين بإطفاء جذوة الفتنة، وسحق الناكثين مع ابن الأشعث. ولم يغب الرجاز الأعلام عن هذا الموقف، وإن كانت القصائد والأراجيز لا تكاد تند عن دائرتي المديح والهجاء.. مديح الحجاج، وهجاء ابن الأشعث وأشياعه، يتخللهما تصوير لصولة الحجاج وجبن خصومه، وما حلَّ بهم. فهذا أبو النجم العجلي يقول(١٠٦):

ويل أم دُورِ عِزَّةٍ ومجدِ ... دورِ ثقيفٍ بسواء نجد

أهل الحصون والخيول الجرد

فأعجب الحجاج رجزه.

ب - العجاج وولده رؤبة:

أما العجاج فقد ظاهر الحجاج بسنانه ولسانه، فقال يمدحه، ويهجو خصومه(١٠٧):

بل قدّرَ المقَدِّرُ الأقدارا ... بواسطٍ أفضلَ دارٍ دارا

أصبح نوراً للهدى أنارا ... والله سمَّى نصرَه الأنصارا

لولا تكميك ذُرى مَنْ جارا ... والذب عنا لم نكن أحرارا

وقال:

ألم تكن أشد قومٍ رحضا ... سراءهم والأخبثين ركضا

جاؤوا محلين فلاقوا حَمْضا ... طاغين لا يزجر بعض بعضا

فوجدوا الحجّاج يأبى الهضبا ... لا فانياً ولا حديثاً غضا



ومن صريح الأكرمين محضا ثبتاً إذا كان المقام دحضا

ويفتتح العجاج أرجوزته بفكرة (الجبرية)؛ لأن بني أمية يرون فيها رواجاً لملكهم. وفكرة الجبر وليدة مواقف سياسية تظاهر بني أمية، وألحّ عليها شعراؤهم ورجّازهم، واتخذها الحجاج مقدمة لأرجوزته، لتحل محل المقدمة الطللية التي بعثها في أراجيزه الأخرى، وأحيا الرواسم الموروثة فيها، وخاصة في أراجيز المديح التي استهلها بالمطالع الطللية، واستخدام الأساليب والصور التقليدية. وإن كان يصدر في مديحه السياسي - غالباً - عن قيم إسلامية، ومآثر إيمانية، يسربلها ممدوحه، كالتقوى والعدل والغيرة، ونصر الله تعالى له.. ثم ذكر إيقاعه بابن الأشعث، ووصف مسيره إلى عبد الله بن الزبير بمكة.. وما ألحق به من نكال. ولا شك أن مكانة الرجز قد علت على أيدي هؤلاء الفحول، بعد أن أخرجوه من جور القِصَرِ وحديث الحماسة، إلى سعة الساحة الفنية، التي فسحت له، وأنصفته من القصيد أغراضاً وطولاً، إذ كان "يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة، إذا خاصم أو شاتم أو فاخر"(١٠٨). وقال أبو عبيدة: "ما زالت الشعراء تَغْلِب حتى قال أبو النجم: الحمد لله الوهوبِ المجزلِ.

وقال العجاج:

قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَر.

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق"(١٠٩)

أما شاعر بني مروان الأثير الأخطل، فكأنه لم يرَ الحجاج أهلاً لمديحه، أو لانشغاله بمديح أسياده، مع ما حشي من غرور وكبر، واعتداد بنفسه وقبيلته ومنزلته وموهبته. فقد أدرك قمة مجده في بلاط عبد الملك.. وقد يكون عون



الحجاج للجحّاف بن حكيم على ديات قتلى بني تغلب رهط الأخطل سبباً لزهده في مديحه، وكان الجحاف أول من سأل الحجاج في العراق. ويقول في ذلك[١١٠]:

رحلتُ إلى الحجّاجِ أطلبُ نفعَهُ ... على ثقةٍ باللهِ والرهنُ قد غَلِقْ

تحمّلْ دماءً بين قيسٍ وتغلبٍ ... تحملّتُها والقلبُ من ثقلِها فَرِقْ

فأحفى سؤالي ثم أقبل ضاحكاً ... عليّ وأعطاني الألوف من الوَرِقْ

وقد تكون الأسباب تلك مجتمعة، وإن كان ولي نعمته عبد الملك يرغب في مديحه الحجاج، بل طلب منه ذلك، فالحجاج أولاً وآخراً عامل من عماله، بل هو من صنائعه. فكتب الأخطل قصيدة، ووجه بها ابنه إلى الحجاج، وقال عنها صاحب الأغاني: "وهي ليست من جيد شعره" وإن كان قد سها عن تحديد تلك القصيدة. فقال: مدح الحجاج بقصيدته التي مطلعها[١١١]:

صرمتْ أمامةُ حبلَها ورَعُومُ ... وبدا المُجَمْجَمُ منهما المكتوم

ولكن قصيدته في مديح الحجاج هي[١١٢]:

صرمتْ حِبَالَكَ زينب وقَذورُ ... وحِبالُهنَّ إذا عُقِدنَ غُرُورُ

وبعد مقدمة تقليدية، ودعوة لعبد الملك صاحب الفضل، يقول:

فعليك بالحجّاج لا تَعْدِلْ به ... أحداً إذا نزلتْ عليكَ أمورُ

ولقد علمتَ وأنت أعلمنا به ... أن ابنَ يوسف حازمٌ منصورُ

وترى الرواسمَ يَخْتَلِفنَ وفوقها ... وَرِق العِراق سبائكٌ وحرير

ولقد علمتَ بلاءَهُ في معشر ... تغلي شنَاة صدورهم وذكور

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت ... بِشبيبَ غائلةُ النفوسِ غَدُورُ

فأبادَ جمعَهم حَميداً وانثنى ... ولَهُ لِوقعةِ آخرينَ زئير

أبرز الشاعر الحجاج بصورة قائد حازم مقدام، ينازل الأعداء فيحوي



بلادهم وأموالهم ونساءهم، ويخمد أنفاس الناكثين والخارجين على سلطان الخليفة، فيجعلهم أثراً بعد عين، وحظيت مشاهد الخيول في أرض المعركة بنصيب وافر.. ولا يختلف الأخطل بذلك عن شعراء السماط الحجاجي؛ إذ لا يكادون يندون عن حديث القوة والعدة ساعة النزال أو الملاحقة، كما أن بدوية الأخطل قيدته في ساحة التقليدية.. لغة وأساليب وصوراً.

ج - ليلى الأخيلية:

ولئن زهد الأخطل في مديح الحجاج؛ لانتفاء الرغبة والرهبة، إذ كفاه رأس السلطة أمر دنياه، فإن ليلى الأخيلية جاءت الحجاج تسعى، تقودها الرغبة: فدخلت على الحجاج، فجلست، فقال: ما أعملك إلينا ؟ قالت: السلام على الأمير، والقضاء لحقّه، والتعرض لمعروفه... قالت: تركتهم - عن قومها - في خصب وأمن ودعة... أما الأمن: فقد أمَّنهم الله عز وجل بك. وأما الدعة: فقد خامرهم من خوفك ما أصلح ما بينهم. ثم قالت: ألا أنشدك ؟ فقال: إذا شئت. فأنشدت(١١٣):

أحجّاجُ لا يُفْلَل سِلاحُكَ إنما ... المنايا بِكفِّ اللهِ حيثُ يَراها

إذا هبطَ الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تتبعَ أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداءِ العضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

سقاها دماءَ المارقينَ وعَلَّها ... إذا جَمحتْ يوماً وخِيفَ أذاها

وقيل: فلما قالت: غلام إذا هزَّ القناة سقاها، قال: لا تقولي: غلام، قولي هُمام.

وزاد القالي(١١٤):

فما ولدَ الأبكارُ والعونُ مثلَه ... ببحر ولا أرضٍ يجِفُّ ثراها

فلما قالت هذا البيت. قال الحجّاج: قاتلها الله، والله ما أصاب صفتي شاعر



منذ دخلت العراق غيرها... ثم قال: يا غلام: اذهب إلى فلان، فقل له: اقطع لسانها، قال: فأمر بإحضار الحجام، فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك ! إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة، فبعث إليه يستثبته، فاشتاط الحجاج غضباً، وهمَّ بقطع لسانه، وقال: ارددها. فلما دخلت عليه قالت: كاد والله يقطع مقولي، ثم أنشأت تقول:

حجّاجُ أنتَ الذي ما فوقَه أحدٌ　　إلا الخليفةُ والمستغفرُ الصمدُ

حجّاجُ أنتَ شهابُ الحربِ إن لقِحتْ　　وأنتَ للناسِ نورٌ في الدجى يَقِدُ

لقد نشرت للحجاج ثوب ثناء، فرفعته إلى مقام سام، ومنزلة عظيمة دون الله تعالى والخليفة. ولم تنس حزمه وبأسه، ما هبط أرضاً مترعة بالفتن والمكايد إلا شفاها من دائها، وقضى على المارقين.. إنه يصول صولة جبار.

وهذا نويفع بن لقيط الأسدي، يطرده الحجاج لجناية، وكانت له امرأة من بني منقذ بن طريف في خلقها زعارة، فادعوا عليه طلاقها، فقاتلهم حتى كانت بينهم جراح، فاستخفى، فرفعوا أمره إلى الحجاج، فبعث إليه نفراً، وهو في أجمة سوداء، فأحرق عليه في نواحي الأجمة، وقالوا: قد كفتنا الأسود والنار أمره. فأدركهم الليل فانصرفوا، وخلصه الله حتى لحق بقومه، فقال في الحجاج[١١٥]:

لو كُنتُ في العَنْقَاءِ أو في عَمَايَةٍ　　ظننتُكَ إلا أنْ تَصُدَّ تَراني

تَضِيقُ بيَ الأرض الفَضَاءُ لِخَوفِهِ　　وإنْ كنتُ قد طوّفت كُلَّ مكانِ

آلَيْتُ لا آتِيكَ إلا مُسَالِماً　　مَعي مِنك يا بنَ الأكرَمينَ أماني

أعُوذُ بقبريْ يُوسُفٍ وابن يوسفٍ　　أخيك، وبالقبر الذي بِعَدَانِ

سَمِيي نبيِّ الله من أن تنالني　　يداك، ومَنْ يَغْتَرُّ بالحَدَثانِ

د – الفرزدق:

إذا كان الحجاج مولعاً بالشعر عامة، فلا بد أن يكون شغوفاً بشعر الفحول



من الشعراء المعاصرين له، ولئن أحجم الأخطل عن الحجاج – لأسباب سلف ذكرها – فإن للفرزدق موقفاً مغايراً ولو كان متقلباً. فصدر الفرزدق متخم كبراً وتعالياً، لا يكاد يُقِرُّ لأحد من الناس بالتفوق عليه وتقدمه ؛ لعزة آبائه وشرفهم ومنعتهم... فكان صاحب ولاء قبلي جياش. ولكن لم يمنعه ذاك الشعور من أن يحني هامته لأصحاب السلطة والمال. فقد تدفعه الضرورة – رغبة ورهبة – إلى مصانعتهم ومديحهم، ولكن سرعان ما ينقلب عليهم إذا تبددت أطماعه ومخاوفه، فيسفعهم بشواظ من هجائه؛ فكان متقلب الأهواء، ولاءً وجفاء، يمدح ويهجو، يقترب ويجفو، وفي الحالتين يتبطن الإباء والأنفة، والاعتداد بنفسه وقبيلته، مع حب الدنيا وطلبها، ولذا تلقاه أحياناً مستجدياً ضرعاً، ومتهوراً مسرفاً، ملحاحاً ملقاً في أوقات أخرى.

ومع مناصبة الفرزدق القيسية العداء، فإنه مدح الحجاج القيسي اتقاء لشره، وطمعاً بنواله، وبخاصة أنه قد جفته قصور الشام وجفاها – بعد أن وقف إلى جانب عبد العزيز بن مروان، حين تطلع عبد الملك إلى تحويل ولاية العهد إلى ولده الوليد – فلم يَرِدْها ولا دُعِيَ إليها. ويتكرر الموقف هذا لما عمل الحجاج على نقل ولاية العهد من سليمان بن عبد الملك إلى عبد العزيز بن الوليد. ولم تخف ميول الفرزدق إلى سليمان، ولذا لم تزدلف قدماه إلى أروقتهم إلا بعد تسنم سليمان عرش الخلافة. فأمَّهُ، والتف بظلاله، وشاركه مقته الحجاج وكراهيته، وإن كان هذا التقلب ليس لوجه الأطماع والمخاوف فحسب، بل لا ينكر صدى المصالح القبلية في المواقف تلك، ولو حاول الفرزدق تبرير تقلباته وتحولات ولائه، بقوله: "نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلّى عنه انقلبنا عليه"(١١٦).

ويحتضن ديوان الفرزدق – وما أظنه حوى كل ما قاله من شعر – مجموعة من القصائد التي تتناول الحجاج مدحاً ورثاء ثم هجاء.. وقد أجرى أبيات المديح في سبيلين اثنين: الخوف من بطش الحجاج وجبروته، وصورة الحجاج بين



الدماء والأسنة والأشلاء، كأسد ضارٍ، أو بازٍ كاسر، لا يقع إلا على فرائس هالكة. حيث الهيبة والبطش. يقول في قصيدة مادحاً الحجاج بن يوسف الثقفي – ولعله يعارض بعض مدائح جرير في الحجاج – :

– سئمت من المواصلة العتابا وأمسى الشيب قد ورث الشبابا

– شعفت بعهد ذكرته المنازل وكدت تناسى الهم والشيب شامل.

بعد مقدمة في الغزل والشيب(١١٧):

رأيتُ نَوار قَدْ جَعَلَتْ تجنَّى وتُكْثِرُ لي المَلامةَ والعِتَابَا

تَعَلَّمْ إنّما الحجّاجُ سَيْفٌ تَجُذُّ به الجَمَاجِمَ والرِّقابا

وَخَاضِبِ لحيةٍ غَدَرَتْ وَخَانَتْ جَعَلْتَ لِشيبها دَمَهُ خِضَابَا

ثم يطنب الفرزدق في سَلِّ ذاك السيف، وهو مسلط على رقاب الخصوم، لا يفتر عن الفتك والقتل. ولذا كانت جوانح الفرزدق تصطفق وجلاً مع ضربات الحجاج:

شَدختَ رؤوس فِتيتِها فداخَتْ وأبصَرَ من تَرَبّصِها فَتَابا

ولو أني بِصينِ استان أهلي وقد أغلَقْتُ من هَجْرَين بابا

عليّ رأيتُ يا بنَ أبي عَقيلٍ وَرَائي مِنْكَ أظفاراً ونابا

ولم تغب هذه الصورة عن المدائح الأخرى، بل يلح الفرزدق عليها، ويفتنّ في إبرازها، فلا يكاد يغادر الحديث عن قوة الحجاج وسطوته وبأسه، وماله من مهابة تبعث الرعب في النفوس، بل تجعله يمشي إلى الناس مشي الآجال في الآمال. فإذا اطلع الحجاج على الناس أطرقوا هيبة، وخرسوا مهابة وذلة، وبلغت قلوبهم حناجرهم، فغدوا بين شرقٍ بالريق، أو ملقلقٍ يهذي. وإذا أرعد بوعيده، أسقطت الحوامل أجنتها، ومن كتب له البقاء عاش في رعب مقيم. يقول(١١٨):



إذا ما بَدا الحجّاجُ للنّاسِ أطرقُوا	وأسكَتَ مِنهُم كلُّ من كانَ يَنْطقُ
فما هُوَ إلاّ بائِلٌ مِنْ مَخافَةٍ	وآخَرُ مِنْهُمْ ظلّ بالرّيقِ يَشْرَقُ
وطارَتْ قُلوبُ الناسِ شرقاً ومغرباً	فما النّاسُ إلا مُهجِسٌ أو مُلَقلِقُ

وقال(١١٩):

إذا وَعَدَ الحجّاج أو هَمَّ أسقَطَتْ	مَخافَتُهُ ما في بُطُونِ الحَوَامِلِ
له صَوْلَةٌ مَنْ يُوقَهَا أن تُصِيبَهُ	يَعِشْ وهو منها مُستَخَفُّ الخَصائلِ

ويستفيض الفرزدق في حديث قمع الفتن التي ابتلي بها الحجاج، وأضرم عليه جذوتها الناكثون أعداء الدين، جند إبليس. ولكن الحجاج أخمدها بسيفه، ولم يمسك حتى استكانوا وضرعوا.. ثم مال إلى أهل الفساد والرشا، فشرّد بهم، وبسط الأمن والعدل؛ فاطمأنت الرعية ونعمت، وتبقى صورة العنف والقسوة الأبرز في قصائد المديح تلك، وإن تحرف الفرزدق في رسمها؛ لتظهر لوحة في ساحة العدالة والذب عن الدين، وإقامة الأحكام، فاسمعه يهجو ابن الأشعث، ويندد بقادته، حيث لقوا الهوان، بضربة حازم شفت النفوس من دائها، وتضعضع لها جند إبليس. يقول(١٢٠):

لَبِئست هدايا القافِلين أتيتُمُ	بها أهلكم يا شرَّ جَيْشَينِ عُنصُرا
وقائِعُ للحجّاج ترمي نِساؤها	بأولادِ ما قد كان مِنهُنّ مُضمَرَا
سقَى قائِديها السُّم حتى تخاذلوا	عليها، وأروى الزاعبيَّ المُؤَمَّرا
رأوا جبريلَ فيهمُ إذ لقوهُمُ	وأمثالَهُ مِنْ ذي جَناحَينِ أظهَرَا
كأنَّ على ديرِ الجَماجِمِ منهُمُ	حصائدَ أو أعجازَ نخل تقعَّرا

إن يد الفرزدق تفتن في مدِّ أطراف الصور – تقليدية وإسلامية – من خلال توليد المعاني واستقصائها، وهو يكيل المديح للحجّاج، فيقرنه إقداماً وبسالة وتأييداً بأهل بدر؛ إذ أمده الله تعالى بالملائكة نصرة له على خصومه



البغاة، وتتلألأ التعابير القرآنية ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ والقيم الإيمانية في أعطاف القصيدة.

لقد أسعدت هذه القصيدة الحجاج، وحركت في أعطافه نوازع الغرور؛ إذ استطاع الفرزدق أن يصور الحجاج بأسلوبه القوي، وصوره العنيفة، التي تتراءى منها نفس الحجاج ترائيها من معانيه. ووفق في إقامة مزاوجة فنية بين المعنى والصورة، ولم يخف الحجاج إعجابه بها، بل اهتز لها وصرح بتفوق صاحبها، وهو يصغي لإنشاده. لقد كانت هذه الصورة أثيرة عنده، ومحببة إليه، ولذا كان الشعراء يتعاورونها في مديحه. يقول الفرزدق(١٢١):

إنَّ ابنَ يُوسفَ محمودٌ خَلائِقُهُ ... سِيئانِ مَعْرُوفُهُ في الناسِ والمطر

هو الشهابُ الذي يُرمى العَدوُّ به ... والمَشْرَفيُّ الذي تعصي به مُضَرُ

لا يرهبُ الموتَ إنّ النفسَ باسلةٌ ... والرَّأيُ مُجتَمعٌ والجوُدُ مُنتَشِرُ

وكل هذا التزلف لم يبعث الاطمئنان في صدر الشاعر، ويمنحه الأمن. فكيف تمضي حياته هنية وادعة، وهو يتقلب في ظل سيف الحجاج، فلم يطق صدره كتمان هذه الهواجس، بل نفثها مرعوباً فرقاً، وكأن البلاء أظله وهو واقع به، وما أظنه إلا يدافع تلك المخاوف بالحديث عن سطوة الحجاج ولزوم طاعته. لقد قضى الفرزدق أيامه تلك، وهو يتقاسمه شعوران متنافران، شعور بالعظمة، وشعور بالرهبة والخوف. يقول مصوراً تلك الأحاسيس(١٢٢):

وقد خِفتُ حتى لو أرى الموتَ مقبِلاً ... ليَأخُذَني، والموتُ يُكرهُ زَائِرُهْ

لكانَ من الحجّاجِ أهونَ روعةً ... إذا هُوَ أغضى وهو سامٍ نواظِرهْ

فأيقنتُ أني إنْ نأيتُكَ لم يَرِدْ ... بي النأيُّ إلا كُلَّ شيءٍ أُحاذرهْ

وأنْ لو ركبتُ الريحَ ثم طلبتني ... لكُنتُ كشيءٍ أدركتهُ مقادِرُهْ

فلمْ أرَ شيئاً غيرَ إقبالِ ناقتي ... إليكَ وأمري قَدْ تعيتْ مصادِرُهْ



أخافُ من الحجّاجِ سورةَ مُخدِرٍ ضوارِبَ بالأعناقِ منهُ خوادره

لقد تملك الرعب قلب الفرزدق، وغدا معذباً بتلك الأحاسيس التي اضطرمت في صدره. حتى ظن أنه جارم تطلبه سيوف الحجاج. ما الذي جناه الفرزدق حتى يلازمه هذا الشعور ؟ أهي الخصومات القبلية، أم المواقف النى تبناها مخالفاً رغبة الحجاج ؟ أم ضيق الحجاج بمن يشمخ بأنفه، ولا يستخذي بين يديه ؟ كل ذلك يمثل أمشاج ذاك الإحساس، الذي أيقظ جذوة الحذر في صدره من الحجاج، ودفعه إلى التخاشع والمبالغة وهو يمدحه.

ومع فظاظة تلك الصور التي تبعث الجفاء والخوف في النفس من الحجاج، فإنه يعشقها. وأعتقد أن الفرزدق وأضرابه من الشعراء يعرفون هذا عنه، ولذا أطالوا أنفاسهم وهم يرسمون تلك الصور القانية، واتخذوها عربون ولاء عند الحجاج. وكلما كانت الصورة دامية، كان صاحبها أعظم جائزة، "قال الحجاج للفرزدق وجرير – وجارية بين يديه –: أيكما مدحني ببيت فضل فيه، فهذه الجارية له. فقال الفرزدق:

فَمَنْ يأمنِ الحجاجَ والطيرُ تتقي عُقُوبتَهُ إلا ضعيف العزائمِ

وقال جرير:

فَمنْ يأمنِ الحجاجَ أما عقَابُهُ فَمُرٌّ وأما عَهدُهُ فوثيقُ

فقال الحجاج: والطير تتقي عقوبته كلام لا خير فيه ؛ لأن الطير تتقي عقوبة كل شيء، الثوب والصبي، وغير ذلك، خذها يا جرير"(١٢٣)..

ولم ينس الفرزدق حظ الحجاج من مآثر أخرى، فأشاد بنزاهته وعفة يده، وأبطل الرشوة التي عمت بلواها، حتى غدت سبيل الناس لتحصيل حقوقهم، ولبلوغ بعضهم مناصب في أعمال الدولة. فبسط العدل بين الرعية، واشتد على المفسدين. تلك الصورة المشرقة للحجاج، التي جلّى بها الشاعر محاسنه أمام الناس. يقول(١٢٤):



ولم أرَ كالحجّاجِ عوناً على التقى ... ولا طالباً يوماً طرِيدَةَ تابِلِ

وكنّا بأرضٍ يا بنَ يُوسُفَ لم يَكُنْ ... يبالي بها ما يرتشي كلُّ عامِلِ

وما تُبتَغى الحاجاتُ عِنْدَكَ بالرشا ... ولا تُقتضى إلا بما في الرسائلِ

والغريب في مدائح الفرزدق تلك، أنه كان قصير النفس – خلاف عادته – سوى قصيدته التي هجا بها ابن الأشعث، إذ تجاوزت السبعين بيتاً. إلى جانب مقطوعات قصيرة لم تتجاوز الأبيات الخمسة، وإن كنت أميل إلى الظن أنها جزء من قصائد طوال ضلت طريقها إلينا، وعدا عليها الزمان.

ولم أقع على هجاء للحجاج في ديوان الفرزدق قبل أن تغيبه الأرض، سوى أبيات اختلف في قائلها، وسبق أن رجحت نسبتها إليه، لأن ميسمه بادٍ عليها؛ فوعيد الحجاج أقلقه، وفضاء البادية المترامية أكنَّه، فقال هاجياً له(١٢٥):

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد

زمان هو العبد المُقِرُّ بذله ... يراوح غلمان القرى وينادي

وكأن الأبيات هذه شهدت صدر ولاية الحجاج، وقبل أن يضع سيفه في رقاب العباد، وتغرق الأرض بدمائهم، فنال من نسب الحجاج ومهنته..

ولم يلبث أن جاء نعي محمد بن يوسف من اليمن، في اليوم الذي مات فيه محمد بن الحجاج. فعظمت الرزية. "فقال الحجاج: من يقول شعراً يسليني به ؟ فقال الفرزدق(١٢٦):

إنَّ الرزيةَ لا رزيةَ مثلها ... فقدان مثل محمد ومحمد

فقال: ما صنعت شيئاً، إنما زدت في حزني. فقال الفرزدق:

لئن جزع الحجاج ما من مصيبة ... تكون لمحزون أجلَّ وأوجعا



من المصطفى والمصطفى من خيارهم جـنـاحـيـه لـمـا فـارقـاه فـودّعـا

جـنـاحـا عُـقـاب فـارقـاه كـلاهـمـا ولـو نُزعا من غيره لتضعضعا

فقال: الآن".

ومع فداحة المصيبة التي أوهنت قوى الحجاج ؛ إذ فقد أخاه وابنه في وقت واحد، فإن الشاعر لم يشغل عن مديح الحجاج، وإبراز شدته، فهو عقاب كاسر، وسيف باتر في رقاب الناكثين، الذين أوضع الشيطان بهم، فتقلبوا في معاطن الضلال، فقال:

وقد كنت ضَرَّاباً بها يا بن يوسف جَماجِمَ من عادى الإمام وشيعا

جَمـاجِـمَ قومٍ نـاكـثـيـن جرى بـهـم إلى الـغَـيِّ إبـلـيـسُ النفاق وأوضعا

ولم تطل بالحجاج حياة، فيرديه الموت، فيبكيه الفرزدق، ولكن بدموع فاترة، فتور محبته في قلبه. فما الذي سيبكيه في الحجاج، وقد خمدت سورته، وما عاد تخشى بوادره. يقول(١٢٧):

ابكِ عـلـى الـحـجّـاج عَـوْلَكَ مـا دَجـا لـيـلٌ بـظُـلْـمـتِـهِ ولاحَ نـهـارُ

لَـهْـفـي عـلـيـك إذا الـطِّـعَـانُ بـمـأزِقٍ تـركَ الـقَـنـا وطِـوَالُـهُـن قِـصـارُ

إنَّ الـرزيـةَ مـن ثـقـيـف هـالـكٌ تـركَ الـعـيـونَ ونـومُـهُـن غِـرارُ

وماذا عساه أن يقول في الحجاج، بعد أن سجد صالحو الأمة وخيارها شكراً لله تعالى على هلاكه. ولكن الشاعر عندما تلتاع كلمة الحق على لسانه، وهو يداجي بها، لا يحسن توجيهها. فكم ترك الحجاج من عيون لم تذق طعم النوم هلعاً وفرقاً. ولا يُبكى أمثال هؤلاء الذين حرموا الناس الأمن والطمأنينة، فلم يعرفوا للنوم طعماً، ونسي الفرزدق تقريعه لمسكين الدارمي بعد أن رثى زياد بن أبيه، وهو دون الحجاج قسوة وبطشاً. يقول في ذلك(١٢٨):

أمسـكِـينُ أبـكـى الـلـهُ عـيـنَـكَ إنَّـمـا جـرى فـي ضـلال دَمْـعُـهـا فـتـحـدَّرَا



بَكَيْتَ امْرأً فظَّاً غليظاً مُبغَّضاً ... ككسرى على عِدَّانِهِ أو كَقيصرا

وإن قصر رثاؤه في تلك الأبيات، فقد أطاله في قصيدة أخرى، يقول فيها[١٢٩]:

لِيَبكِ على الحجاج مَنْ كان باكياً ... على الدِّينِ أو شارٍ على الثَّغْرِ واقفِ

وما ضُمّنتْ أرضٌ فتحملَ مِثلَهُ ... ولا خَطَّ يُنْعى في بُطونِ الصحائفِ

لحَزْمٍ ولا تنكيلِ عِفرِيتِ فِتنةٍ ... إذا اكتحلتْ أنيابُ جرباءَ شارِفِ

فلم أرَ يوماً كان أنكى رزيةً ... وأكثرَ لَطّاً للعيون الذوارِفِ

وماتَ الذي يرعى على الناس دينهم ... ويضرِبُ بالهنديّ رأسَ المخالِفِ

فإن يكنِ الحجّاج ماتَ فلم تَمُتْ ... قرومُ أبي العاصي الكرام الغطارف

وعلى الرغم من المبالغة في تعداد مناقب الميت – وخاصة البيت الثالث، إذ لم تضم طيات الأرض أفضل منه، ولم ينع في الصحائف مثله – الذي أكسب القصيدة طولاً، فإن ذلك لم يغن شيئاً: فقد تبددت الأحزان المتكلفة بين ثنايا الأبيات. ولعله في قصيدته هذه يلتمس القرب من الوليد بن عبد الملك، الذي كان يرى في الحجاج سيف سلطته وحاميها. ولكن التكلف أودى بمرارة المصيبة ؛ فجاءت الكلمات وفية لما يعتلج في صدر الشاعر، غير الأحزان، فكانت الجوالف، والجرباء الشارفة، واللط – إذ لم يكن الشاعر ممن يفوته اختيار الألفاظ الباكية – تكشف عن خلو صدر الشاعر من الحزن والألم، بعد أن خلا فؤاده من الرغبة فيه والرهبة منه.

وما أن يغيب الموت الوليد بن عبد الملك، ليخلي عرش السلطة لسليمان بن عبد الملك، حتى يزم الفرزدق رواحله إليه، ويتألق نجمه في الأيكة السليمانية، ويصبح شاعرها. قال:

فما كنت عن نفسي لأرحل طائعاً ... إلى الشام حتى كنتَ أنت المؤمَّرا



وما لنا ولمدائح الفرزدق تلك، لولا أن الشاعر قد سلك فضائل الخليفة ومآثره في خيط مثالب الحجاج. لقد عفى الخليفة على سني الضيم والهوان والهلاك التي صبت على الرعية أيام الحجاج، حيث ملأ مع عماله الأرض جوراً، لقد تحول الفرزدق في قصائده تلك هداماً وبناءً، يهدم بنيان الظلم والجور الذي شيده الحجاج، ليقيم صروح العدل والرخاء ليعتليها سليمان.

وأظن أن باكورة قصائده التي أنشدها سليمان وهو على بساط الخلافة، تلك التي يذكِّره فيها بمحاولة الحجاج صرف الخلافة عنه، وأبى الله إلا أن يسوقها إليه. لقد أمسك الفرزدق بطرف الملاءة التي كانت تواري سَوْءَة الحجاج، ليرفعها عنه – وهو ممن مدّها عليه من الشعراء – فتبدو حقيقة الممدوح السابق، وقد أظهر له المحبة، ولكن !!! يقول(١٣٠):

أحب من النساءِ وهنَّ شتى　　حديثَ النّزرِ والحَدقَ الكِلالا

وجدتُ الحُبَّ لا يَشْفيه إلا　　لِقاءٌ يقتُلُ الغُلَلَ النِّهالا

بعد تلك المقدمة الغزلية، يدير الشاعر حديثاً مع راحلته التي عانت من الحرمان والضيم والسوط في أيام مضت، ويبشرها بأيام سعيدة تنتظرها، فيخصب مرعاها بعد جدب، فالأحلام أضحت واقعاً، بعد أن خذل المولى مسعى الحجاج، وأنهى الخلافة لسليمان:

يُملِّكه خزائنَ كلِّ أرضٍ　　ولم أكُ يائساً من أن تُدالا

وإنَّكَ قد نُصرتَ أعزَّ نصرٍ　　على الحجّاج إذ بعث البغالا

مُفَصَّصَةً تُقرّبُ بالدّواهي　　وناكِثةً تريد لك الزِّيالا

وينتقل الفرزدق نقلة أبعد في هجاء الحجاج وهو يمدح سليمان بن عبدالملك، ففي قصيدته(١٣١):

طرقتْ نَوارُ ودونَ مَطْرَقِها　　جذبُ البُرَى لنواحلٍ صُعْرِ



وبعد مقدمة غزلية ينفثها من فوق عيرانة أعياها السّرى، وهي تخب إلى سليمان، يرسم صورة لحياة الأمة المهضومة المقهورة قبل خلافة سليمان:

فأجابَ دعوتَنا وأنقذنا بخلافةِ المهديِّ من ضُرِّ
لم يبقَ منهم غيرُ ألسنةٍ وأُعيظمٍ وحواصلٍ حُمْرِ
ويُجَمِّرون بغيرِ أعطيةٍ في البَرِّ مَنْ بعثوا وفي البَحرِ
حتى غبطنا كلَّ مُحْتَمَلٍ يُمشى بأعظُمِهِ إلى القبرِ
ما قلتُ إلا الحقَّ تعرفُهُ في القولِ مرتجِلاً وفي الشعرِ
فاذكرْ أرامل لا عَطاءَ لها ومُسَجَّنِينَ لموضِع الأجرِ
إني أرى الحجّاجَ أدركه ما أدركَ الأروى على الوعْرِ

ويستفيض الشاعر في مديحه سليمان بن عبد الملك؛ فهو المهدي الذي ملأ الأرض عدلاً بعد أن ملأها الحجاج جوراً. فقد أزال الله تعالى به الغمة عن الأمة. فكان كهفاً للمساكين، وخصباً للأرامل، وعزاً للضعفاء، ومنقذاً للمظلومين. فالشاعر لا يفارق الصورة التي يرسمها حتى يقلبها على وجوه متعددة، ولذا امتدت قصيدته إلى مئة بيت إلا بيتاً. ويستوقف الدارس إلحاح الشاعر على تأكيد صدق مقولته، متنكراً - فيما يبدو - لما سبق منه، من مديح للحجاج تزلفاً وملقاً.

ولدى الشاعر قصيدة أخرى ينال بها من الحجاج، ويمدح سليمان بن عبدالملك، يقول فيها(١٣٢):

تُقيم بدارٍ قد تَغيّرَ جِلدُها وطالَ ونيران العذابِ اشتِعالُها
وقلتُ لأهل المَشْرِقين ألم تكن عليكُم غُيومٌ وهي حُمْرٌ ظِلالُها
وشِيمتْ به عنكم سيوفٌ عليكم صباحاً مساءً بالعراقِ استِلالُها



وإذ أنــتُـمُ مَـنْ لـم يـقُـلْ أنـا كـافـر	تَـردّى نـهـاراً عَــثـرةً لا يُـقـالُــهـا
وفـارقَ أمَّ الـرأسِ مـنــه بـضـربـةٍ	سـريـعٍ لـبَيْـن الـمنكبـين زِيـالُـهـا
وإنْ كـان قد صلـى ثـمانـينَ حـجـةً	وصام وأهدى البُدنَ بيضاً خلالُها
لـئـن نَـفَـرُ الـحـجـاجِ آلُ مُـعَـتِّـبٍ	لـقـوا دولـة كــان الـعـدُوُّ يُـدالُـهـا
لـقـد أصـبـح الأحـيـاء مـنـهـم أذلـة	وفي الـنـارِ مثواهمُ كُلُوحاً سِبالُها
وكـان إذا قـيـلَ اتـقِ الـلـهَ شـمّـرتْ	بــه عِـزّةٌ لا يُـسـتـطــاع جِـدالُــهـا

إن التدفق الشعري في هذه الأبيات مؤشر على صدق قائلها، وهو ينقل صورة صادقة عن تلك الفترة الزمنية التي ابتلي الناس فيها بالحجاج. فمسهم الضر والأذى والبلاء، حرمان وقهر وقتل. ومن لم يشهد على نفسه بالكفر لا يبايعه الحجاج، ويضرب عنقه. ويمكن أن نجد فيها أصداء أقوال عمر بن عبدالعزيز، الذي كان يجهر بمقته الحجاج وسنته، ويشير على سليمان أن يلحق بآله الذل كما صبوه على الناس. "وكان من ذلك عزل نواب الحجاج، وإخراج أهل السجون منها، وإطلاق الأسرى، وبذل الأعطيات بالعراق"[١٣٣]. فالحجاج أهلك الحرث والنسل، ولا يصلح لدين ولا دنيا.

فكان شؤبوب عذاب يمطر الناس عسفاً وقهراً، فلم يغمد سيفه عن رقاب العباد، حتى لم يسلم منه العبّاد من المسلمين، ولو أمضى سنيه بالعبادة والطاعة، وبلغ الثمانين، ولعله يشير إلى سعيد بن جبير... لقد انتقم الله من الحجاج وآله، إذ كانوا إذا قيل لهم اتقوا الله أخذتهم العزة بالإثم، فحسبهم جهنم.

لقد أصبح الناكثون الخارجون عن السلطان، شداة الفتنة - أيام الحجاج - أهل صلاح وتقى وعبادة، وهل يكفر هذا عما سلف من مدحه الحجاج، وكان يلقى المباركة والإشادة، أم أنه تملق جديد رائج في بلاط سليمان بن عبد الملك؟ تلك النوايا مغيبة في الصدور !! وقد حظيت الخيوط الإسلامية بالنصيب الأوفر من



القصيدة، فوشتها وأقامت للسنن الربانية من الأحداث والوقائع شواهد. إذ ارتدت السيوف إلى أعناق من أشهرها وأعملها في رقاب العباد. وبذلك نقض الفرزدق كل ما بناه للحجاج من مجد وسلطة وغلبة. وها هو ذا يقول(١٣٤):

وما نُصر الحجّاج إلا بغيره ... على كلِّ يومٍ مُستحِرِّ الملاحم

لقد أوجع الفرزدق الحجاج بهجائه، وهتك أستاره، ومزق كل رداء مديح سربله إياه من قبلُ. فقسا عليه، وعدّد مخازيه ومظالمه، وتشفّى من آل الحجاج، الذين طالما كبتوا مشاعر الناس، ولم تغب حرارة الصدق، وقوة الانفعال، وجمال الصور الفنية التي احتفى بها الفرزدق، مع الغنى النفسي الذي ذلل له أساليب القول والافتنان به.

لقد حرص الفرزدق في هجائه للحجاج على نقل صورة مغايرة تماماً للصورة التي رسمها له في مدائحه؛ فهو طاغية باغية، لقي جزاء بغيه. وكنا نتوقع أن يحبس الفرزدق في هجائه على قسوة الحجاج وجبروته، التي جعلها سيوف حق وعدل أيام سلطانه.. ولكن أصحاب الأطماع لا يحركهم سواها، ونسي الفرزدق قوله(١٣٥):

ولو أن الذي كشفت عنهم ... من الفتن البليةَ والعذابا

جزوك بها نفوسهم وزادوا ... لك الأموال ما بلغوا الثوابا

وقوله(١٣٦):

فجرّدْ لهم سيفَ الجهادِ فإنما ... نُصرت بتفويض إلى ذي الفَواضِلِ

فِدىً لك أمي اجعلْ عليهم علامة ... وَحرِّمْ عليهم صالحات الحَلائِل

نُزَيِّلُ بين المؤمنين وبينهم ... إذا دخلوا الأسواق وسط المحافل

فكيف استطاع الفرزدق أن يكظم غيظه - إن كان صادقاً - تلك السنوات المديدة، بل ويسبّح بحمد الحجاج، ثم يسفعه بشواظ هجائه، وينتزع تلك



العصابة من المآثر التي لاثها على رأسه، بعد أن لطخها بكل ما يشين. فلم يقل خيراً ولم يسعه السكوت.

ولئن تمكنت أموال الحجاج وسيوفه من اصطناع الشعراء، وشراء ألسنتهم، فإن القلوب موصدة أمام محبته، فلم يكن ولاء الفرزدق للحجاج مكيناً ولا صادقاً، وإن كنت لا أقطع بمعرفة الحجاج بذاك اللون من الولاء، ولكني لا أتهيب أن أقطع بفطنة الحجاج وبصره بالشعر والشعراء. ولكنه رضي – فيما يبدو – منه بتوظيف طاقات الفرزدق الفنية في بلاطه، وأوكل سريرته لغيظه المكظوم، وهلعه الخالع، وما يضير الحجاج فساد طوية الشعراء إذا كانت ألسنتهم معه، تجوّد حصادها وسهامها، وتبعثه في ركابه ثناء وذوداً. ولعل في الرضى ذاك إلهاباً لجذوة المباراة والتفوق في صدور الشعراء الذين حاموا حول سماطه، واقتاتوا بأشعارهم على موائده.

هـ – جرير:

وإذا كانت أيام الفرزدق قلقة وجلة في ظل الحجاج، وكان يمدحه رغبة ورهبة، فإن أيام جرير قد أمرعت وازينت، ولو غلبت الرغبةُ الرهبةَ في صدره، فقد دفعته آمال عراض إلى بساطه، لا تقل عن رغبة الحجاج بشاعر فحل يملأ دنياه بالثناء والمديح، وخاصة مثل جرير الذي ضاقت نجد بطموحه الواسع، فهجرها إلى مظان الشهرة والمجد والثراء يومها، العراق ومربدها "وكان أول دخوله العراق قدومه على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، وعامله على البصرة، وفي ذلك يقول جرير(١٣٧) :

أقبلنَ من ثَهلانَ أو جَنْبَيْ خِيَمْ	على قِلاصٍ مثلِ خيطان السّلمْ
إذا قطعنَ علماً بدا علم	حتى أنخناها إلى باب الحكَمْ
خليفةِ الحجّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ	في ضئضئ المجد وبحبوح الكرم



فكتب الحكم إلى الحجاج - وذلك في أول سببه - إنه قدم علي أعرابي باقعة، لم أر مثله. فكتب إليه الحجاج أن يحمله معه. فلما دخل عليه قال له: بلغني أنك ذو بديهة، فقل في هذه الجارية - جارية قائمة على رأسه - فقال جرير: ما لي أن أقول فيها حتى أتأملها، وما لي أن أتأمل جارية الأمير ! فقال: بلى فتأملها واسألها. فقال لها: ما اسمك يا جارية ؟ فأمسكت، فقال لها الحجاج: خبريه يا لخناء، فقالت: أمامة. فقال جرير:

ودّعْ أمامةَ حانَ منكَ رحيلُ ... إن الوداعَ لمن تحبّ قليلُ

مثل الكثيب تمايلتْ أعطافُهُ ... فالريح تَجبُر متنَهُ وتهيل

هذي القلوب صوادياً تيمتها ... وأرى الشفاء وما إليه سبيل

فقال له الحجاج: قد جعل الله لك السبيل إليها، خذها هي لك" [١٣٨]

ويذكر البغدادي في خزانته، أن أول كلمة امتدح جرير الحجاج بها، كلمته التي يقول فيها:

مَنْ سدَّ مُطّلَعَ النفاق عليهم ... أمْ مَنْ يصولُ كصولة الحجاج

أمْ مَنْ يغارُ على النساء حفيظةً ... إذ لا يَثقنَ بِغَيْرَةِ الأزواج

فأمر له الحجاج بأربعة آلاف درهم، وكساه حلة صفراء[١٣٩].

وإن اختلفت الروايات في هذا الأمر، فإنها تتفق على أن الحجاج أكرم جريراً وأدناه، بل استخلصه لنفسه. ولا أكتم ارتيابي من تلك الأخبار التي سيقت؛ إذ كان حظ الخيال فيها وافراً، فجرير لم يكن وقتها خامل الذكر، حتى إنه لم يُسمع باسمه، وخاصة الحجاج الذي كان حفياً بالشعر وأخبار الشعراء، وقد بلغه الهجاء المقذع المتبادل بين جرير والفرزدق وغيرهما، وقيل: لامه على ذاك اللون من الشعر، ثم يدفع تلك الأخبار التي تصور جريراً كبدوي لا يعرفه الحجاج، أن عبد الملك جفا جريراً بداية لأنه ظاهر ابن الزبير. وأيّاً كان الأمر،



فإن الحكم بن أيوب أتحف الحجاج بهذه الباقعة، وتقرب إليه بهذه الملكة الشعرية، التي آثر الحجاج بها الخليفة عبد الملك بن مروان، بعد أن أطربه شعره، وعرف منه الفحولة والسبق - وهو يرتل آيات الثناء والتبجيل - فدفعه إلى الخليفة ليسمع تلك الروائع الحسان من قصائده، ويخصه بفرائده ومذهباته. ولم تخف رغبة الخليفة في شاعر محلق، يصدح على أيكته، ويصوغ قلائد مديح يطوقها عنقه، ويذب عن حمى السلطة. ولم يكن حرص جرير ورغبته بأقل من حرص هؤلاء على أن يحظى بمقعد في قصور السلطة، ينافس من سبقه إليها من الشعراء، وهو معتد بموهبته الشعرية، فسهّل له الحجاج السبيل إلى الخليفة، وتعددت أخبار وفادته الأولى على عبد الملك، فبعضهم يزعم أن الحجاج أوفده مع ولده شفيعاً له عند الخليفة، ونراه في أخبار أخرى يطرق أبواب عبد الملك مع الشعراء، وابن سلام يذكر ضمن خبر له أن الذي أهداه إلى عبد الملك، وقدمه إليه الحجاج: "كان - عبد الملك - لا يسمع لشعراء مضر، ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيرية.

فوفد إليه الحجاج وفادته التي وفدها، ولم يَفِدْ غيرها. فأهدى إليه جريراً، فدخل عليه، فأذن له في النشيد، فقام فأنشد مديح الحجاج واحدة واحدة، فأومأ إليه الحجاج أن ينشد مديح عبد الملك، فأنشده التي يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح"(١٤٠)

ولست أدري هل غابت قيسية جرير عن عبد الملك ؟! أم غابت قيسية الحجاج عنه ؟!! وأستطيع أن أذهب - من غير تهيب - إلى أن استعراض طاقة من القصائد التي قالها جرير في الحجاج أمام الخليفة هو عرض لبضاعة جرير النفيسة - وإن كنت لا أنكر بلوغها كلها أو بعضها سمع عبدالملك قبل أن تحط راحلة جرير في أعتابه، إذ تناقل شعره الرواة، وسمعه الناس - وانتزاع اعتراف بشاعريته، وإغراء للخليفة بتلك القدرة الفنية المبدعة،



التي يتطلع إليها. "فأمر له عبد الملك بعد سماعه قصيدته تلك بمئة ناقة من نعم كلب"[١٤١].

وكأني بعبد الملك قد غبط الحجاج على هذا الشعر، مع ظنه أن مديحه للحجاج ذهب بالأبكار من شعره، ولم يبق لديه سوى إعادة ما قاله فيه وتكراره "فقال لجرير: إنما أنت للحجاج، فقال: ولك يا أمير المؤمنين، وإنما الحجاج سيفك ويمينك"[١٤٢].. ومن حق عبد الملك أن يجد على جرير، الذي أبرز صوراً للحجاج زاهية وضيئة، ولم يبق لسيده من تلك الألوان الصارخة إلا ما هو دونه. فأبدى عبد الملك تمنعاً أخفى وراءه رغبة ملحة في شاعرية جرير. وقد يكون موقفه هذا اعتصاراً لموهبته الشعرية، لعلها تبدع من القصائد الغرِّ التي تَبُزّ قصائده في الحجاج، وقد لا أكون مجانباً الصواب إذا قلت: إن ذاك التمنع والدلال هو الذي عرَّض به جرير في مقدمته الغزلية، التي صدّرها قصيدته التي يمدح بها عبد الملك، وإن كان هذا الذي ذهبت إليه يطرد خبر امتحان الحجاج لمقدرة جرير الشعرية، يقول جرير[١٤٣]:

ودِّع أمامةَ حان منك رحيلُ — إنَّ الوَداعَ إلى الحبيبِ قليلُ

أعذرتُ في طلب النوال إليكمُ — لو كان مَنْ ملكَ النوالَ ينيلُ

إنْ كان طِبُّكُمُ الدلالَ فإنه — حَسَنٌ دَلالُكِ يا أمَيْمَ جميل

ولا تشجينّك لوعة الأشواق في الأبيات، وصيغة التأنيث فيها، فإنها من المقدمات الغزلية التي تتبطن الرمز.

ومع استخلاص الحجاج لجرير؛ إذ كان شاعره الأثير الذي كاد أن ينقطع إليه، كما قال رجل لنوح بن جرير: "قبحك الله وقبح أباك، أما أبوك فإنه أفنى عمره في مديح عبد ثقيف"[١٤٤]. إلا أننا لا نجد في ديوانه على عظمه، سوى بضع قصائد، فهل كانت تلك الأشعار ضحية عاديات الأيام، عفت عليها ؟ لا



أنكر هذا ! وما سلم لنا منها، لم يسلم من إحاطته بأخبار تناقض مضمونها. استعدت علينا المؤرخين والأخباريين. يذكر صاحب الأغاني فيقول: كان الفرزدق وجرير على باب الحجاج، فأذن لهم، فقدم جرير الفرزدق، فلامته شيعته على ذلك، وقالوا: قضيت له على نفسك. فقال لهم: إنه نَزْرُ القول، ولم ينشب أن ينفد ما عنده، وما قال فيه ؛ فيفاخر ويرفع نفسه عليه. فما جئت به بعدُ حتى حُمدت عليه، واستحسن... فدخلت فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد. وإذا هو يقول:

أين الذين بهم تُسامي دارماً   أم من إلى سلفيْ طُهيةَ تجعل

قال: وعمامته على رأسه مثل المنسف. فصحت من ورائه:

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا   برحَ الخفاءُ فليس حين تُناجي

مَنْ سَدَّ مُطّلع النفاقِ عليهم   أم من يصول كصولة الحجاج[١٤٥]

أما صاحب العقد الفريد فيقول: "قال جرير يمدح الحجاج[١٤٦]:

قُلْ للجبان إذا تأخر سرجه   هل أنت من شَرَكِ المنية ناج

فلما أنشده، قال له الحجاج: جرأت عليّ الناس يابن اللخناء. فقال: والله ما ألقيت لها بالاً أيها الأمير إلا وقتي هذا".

ويقول الطبري: وفي سعيد بن جبير، يقول[١٤٧]:

يارُبَّ ناكث بيعتين تركته   وخضاب لحيته دم الأوداج

والأخبار على اختلافها تكاد تجمع على أن هذه القصيدة أنشدها جرير بين يدي عبد الملك، لما استنشده ما قاله في الحجاج، في لقائه الأول به. وكتب الرجال والتاريخ تقطع أن عبد الملك مات سنة ست وثمانين من الهجرة، وسعيد بن جبير قتل سنة أربع وتسعين. "ولم يلبث الحجاج بعده إلا نحواً من أربعين يوماً"[١٤٨].



وفي مديح الحجاج يقول جرير[١٤٩]:

سئمت من المواصلة العِتابا ... وأمسى الشيبُ قد ورِثَ الشبابا
دعا الحجّاجُ مِثْلَ دُعاءِ نوحٍ ... فأسمعَ ذا المعارِجِ فاستجابا
صبرتَ النفس يابن أبي عَقيلٍ ... مُحافظة، فكيف ترى الثوابا
ولو لم يرضَ ربك لم يُنَزِّل ... مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سعر الخليفة نار حرب ... رأى الحجّاج أثقبها شهابا
وقالوا: لن يجامعنا أمير ... أقام الحدَّ واتبع الكتابا
وأشمطَ قد تردى في عَماهُ ... جعلت لشيب لحيته خضابا

ويقول في قصيدة أخرى مادحاً الحجاج[١٥٠]:

بِتُّ أراعي صاحبيَّ تجلُّدا ... وقد عَلِقَتْني من هواكِ عَلُوق
ومَنْ يأمن الحجّاجَ أما عقابُه ... فَمُرٌّ، وأما عَقْدُهُ فوثيق
وما ذُقْتُ طعمَ النوم إلا مُفزَّعاً ... وما ساغ لي بين الحيازم ريق
يُسِرُّ لكَ البغضاءَ كُلُّ منافق ... كما كُلُّ ذي دين عليك شفيق
وأطفأت نيران العراق وقد علا ... لَهُنّ دُخان ساطع وحريق
ألا رُبَّ عاصٍ ظالم قد تركتَه ... لأوداجِه المستنزفات شهيق

وفي هزيمة ابن الأشعث على يد الحجاج، يقول جرير في مديحه[١٥١]:

متى كان المنازل بالوحيد ... طُلُولٌ مِثلُ حاشيةِ البُرُودِ
رأى الحجّاج عافية ونصراً ... على رغم المنافق والحَسود
دعا أهلُ العراق دعاء هود ... وقد ضلّوا ضلالة قوم هود
أقمت لهم بمسكن سوقَ موتٍ ... وأخرى يوم زاوية الجنود

رفع المسيهمل

وما الحجّاج فاحْتَضِروا نَداهُ ... بجاذي المرفقين ولا نَكُودِ
ألا نشكو إليك زمانَ مَحلٍ ... وَشُرْبَ الماءِ في زَمَنِ الجليد

وفي نقيضة يرد بها على الفرزدق وعبيد العنبري، يمدح الحجاج في نهايتها. يقول(١٥٢):

غداً باجتماعِ الحي نقضي لُبانةً ... وأقسم لا تُقْضَى لُبانتُنا غدا
أرى الطيرَ بالحجاج تجري أيامنا ... لكم يا أمير المؤمنين وأسْعُدا
رجعتَ لبيت الله عَهْدَ بنيه ... وأصلحتَ ما كان الخبيبان أفْسَدَا
فما مُخْدِرٌ وَرْدٌ بِخَفّانَ زادَهُ ... إلى القِرن زَجْر الزاجرين توَرُّدا
بأمضى من الحجاج في الحرب مُقْدِماً ... إذا بَعْضُهُم هاب الحِياض فَعَرَّدا
تَصدَّى صناديدُ العراق لوجهه ... وتُضْحِي له غُرُّ الدهاقين سُجَّدَا

أما القصيدة التي أوردها جامع ديوانه، ومطلعها(١٥٣):

شُعِفْتَ بعهدٍ ذكرته المنازل ... وكِدتَ تَنَاسى الحلمَ والشيبُ شامل

فقد ورد في ثناياها أبيات سبق أن وردت منسوبة للعديل بن الفرخ عند الجاحظ وصاحب الأغاني. وهي:

ولولا أميرُ المؤمنين فإنه ... إمامٌ وعدلٌ للرعية فاضل
وبَسْطُ يد الحجاج بالسيف لم يكن ... سبيل جهاد واستبيح الحلائل
دعوا الجبنَ يا أهل العراق فإنما ... يُباع ويُشرى سبيُ مَنْ لا يقاتل
وثِنْتانِ في الحجاج لا تَرْكُ ظالم ... سَوِيّاً ولا عند المُراشاة نائل
أطِيعوا فلا الحجاج مبقٍ عليكم ... ولا جبرئيل ذو الجناحين غافل

أول ما نلاحظه على تلك الأماديح التشابه والنمطية؛ حيث يسجل الشاعر



حروب الحجاج ومنازلاته الخوارج والناقمين عليه وعلى سياسته؛ فيصوره قائداً مؤمناً حازماً قاهراً، أخمد نيران أهل الفتن، وأقرَّ العدل، ومنع الرشا، وأمن الناس، يقدم على خصومه العصاة المارقين، فيروي لحاهم من دمائهم، ويطهر الأرض من فسادهم، بعد أن أمده المولى – سبحانه وتعالى – بمدد من الملائكة مسومين، كما أنزلها على أهل بدر، ولو لم يكن على الحق قائماً به، لما نُصر على أهل الضلالة. وفي مديحه وهجائه لم يكن بعيداً عن الآيات القرآنية، إذ متح منها لهما، ولو أجراها جرير في غير مسيلها، فأضحت الأحداث المريرة، والحروب المتلاحقة مادة ثرية بين يدي الشاعر، ينظمها عقود مدح للحجاج، ولو من جماجم المسلمين: من حصار الكعبة وقتل أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، إلى تلك الدماء التي خاضها في ثورة ابن الأشعث، ولم يكن ذاك الذبح إلا بسيف الإسلام الذي سُلَّ على الخارجين على أولي الأمر، الذين اختيروا لقيادة الأمة. فكاد جرير لا يغادر الحديث هذا مديحاً وهجاءً؛ إذ أصبحا قرينين في قصائده، ولو أحيطت طاقته الفنية بقيود التكرار، فهل يوحي ذاك بقلة المآثر عند الممدوح؟ أم أن الشاعر لُزَّ في مديحه هذا – خوفاً وطمعاً – فلم تطاوعه قناعته على أكثر من ذاك؟ فاحتمى بهجاء الخصوم ليبرز شامخاً وسط الأشلاء التي مزقها بسيوف القهر والبغي، متدثراً سرابيل المبالغة والتزيد، وليِّ أعناق الحقائق بيد التزييف، فجعل تلك الحروب الجائرة جهاداً، وإهلاك الحرث والنسل إعلاء لكلمة الله تعالى، ولن تعفي تلك الأبيات التي انثالت على لسان جرير – بعد زوال دولة الحجاج وارتحاله، واعتلاء سليمان بن عبدالملك عرش الخلافة – على المهمة التي وظف بها فنه؛ فالشعر أسمى من التملق والارتزاق والتصفيق للجبابرة، ومباركة سياسة البطش والعسف، وما تغني أبياته عن الدماء والأشلاء، والأطفال والنساء، فكم امرأة علقها الحجاج بأثدائها في ديماسه !! ولعله في تدوين تلك المخازي تكفير عما سلف، وإسكات لمن يلومه. يقول في مديح سليمان بن عبد الملك(١٥٤):



عَلامَ تلوم عاذلةٌ جهولُ — وقد بلَّى رواحلَنا الرحيلُ
عليكِ وإن بَليت كما بلينا — سلامُ الله أيتها الطلول
أجرتَ من المظالم كل نفس — وأديت الذي عهد الرسول
وتدعوك الأرامل واليتامى — ومن أمسى وليس به حويل
ويدعوك المكلف بعد جهد — وعانٍ قد أضَّر به الكُبُول
وما زالت معلقةً بثدي — بذي الديماس أو رجل قتيل
فَرجْتَ الغمَّ والحلقاتِ عنهم — فأحيا الناسُ والبلد المحول

أأدلى جرير بشهادته هذه إرضاءً لماقتي الحجاج ومبغضيه، ومنهم سليمان بن عبد الملك ؟ أم أنه أراد أن يظهر حديثاً طال كظمه في صدره، فرسم به الصورة الحقيقية للحجاج، بعد أن أسقط تلك الأقنعة المأنوسة عنه، التي نسجها له بخيوط مزيفة لحمة، وسدّاها بالتواءات ذليلة؟ وما قيمة الشعر الذي يقتات على مآسي الناس وضنكهم؟ ولو تقلب الشاعر على جمر الخوف والرجاء كما يزعم جرير(١٥٥):

إني لمرتقب لما خوفتني — ولفضل سيبك يابن يوسف راج

وإن الرعب المؤرق، والخوف المقلق، لا يُطرد بتمجيد السيوف التي طحنت الناس بثفال الخسف والجبروت، ولا بطلب النوال بعد الحديث عن الجود والكرم، الذي غدا مشهراً في ساحة القصائد، ولو طرب الحجاج لتلك الأحاديث، إذ كان مولعاً بسماع مديحه، وإظهار الرهبة منه. فهذا ابن طلحة بن عبيد الله يقول لعبد الملك شاكياً له الحجاج: "وليت علينا الحجاج يسير بالباطل، ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق"(١٥٦).

بل سبيل رضاه الثناء عليه، وخاصة بالقوة والبطش، ويشير إلى ذلك زياد بن عمرو العتكي، الذي كان الحجاج يستثقله قبلُ، ولم يكن أحد أخف على قلب



الحجاج منه بعد الثناء عليه أمام الوليد بن عبد الملك: "إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم"(١٥٧).

أما حديث الرهبة والهيبة، فله عمل السحر في قلب الحجاج، فلما أراد أن يستعين بأبي وائل - شقيق ابن سلمة - على بعض عمله، قال له: "إني ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك، والله إني لأتعارّ من الليل، فأذكرك فما يأتيني النوم حتى أصبح، هذا وليس لك علي عمل، فأعجبه ذلك، قال: هيه كيف قلت ؟؟"(١٥٨). والشاعر الذي يرهن فنه في ساحة هؤلاء لن يسمعهم إلا ما يحلو لهم ويطربهم، وحسب الحجاج شهادته على نفسه: "أنا حديد حقود، وذو قسوة حقود"(١٥٩). وقد وفق جرير في فواتح قصائده تلك، وأحسن اختيارها، ولا يخفى لما للفواتح الجميلة من أثر في النفس، فحظيت المقدمات الغزلية بمنزلة فيها، وإن لم يطل، ولم يدقق لتغدو أكثر رقة ورهافة، وجاءت حافلة بالمعاني النفيسة التي ظهرت بلبوس الرمز، فصدحت بأصداء رقيقة عذبة، محاطة بحديث العذال والوشاة، وقد يتحول جرير بغزله إلى الحنين، وحديث الشيب والشباب، والطيف وارتحال الظعائن، والطلل أحياناً، ولكن رفعت صدرها المقدمة الغزلية وأطيافها، لتدفع المقدمات الطللية عن صدر قصائد المديح للحجاج.

ومع تلك الجزالة والرصانة، جاءت تلك القصائد تتمطى من غير حرارة عاطفة، ولا صدق شعور، تتدثر سربال النمطية، وماذاك إلا لأنها تحدرت من كهوف المصالح التي تجتوي الصدق والإخلاص، ولو سترت ذاك بجودة الصياغة والتوشية، وإن كنت لا أكلف جريراً أن ينقل الواقع نقلاً جافاً، ويصفه وصفاً دقيقاً، فذاك مطلب يتأباه الشعر، لما يبعثه من نفحات وجدانية من العاطفة والخيال فيما ينقله.

ولكن نتطلع إلى أن يجمع الشاعر بين الحق الذي يعرفه والقيم الجمالية التي



تستهوي الأفئدة، وإلا فإن التلون والنفاق سيملأ آفاق فنه الشعري، ويحتمي بالمبالغة والتكلف الذي يوبق شعره، ولأن الفطر الصافية تعاف تلك المبالغات، وبخاصة إذا نسجتها أيد تتحسس ثمن فنها، وما تعلق جرير وكثير من الشعراء بالحجاج إلا تعلق بأسباب النعيم والثراء، أو مصانعة له واتقاء شره.

وإلى جوار تلك الأشعار التي قيلت في الحجاج مديحاً وهجاءً واعتذاراً كتلة شعرية كبيرة اختزنتها ذاكرة الحجاج، من أشعار السابقين والمعاصرين، خاصة تلك التي تجري مجرى الحِكَم، فيتمثل بها في خطبه وأحاديثه، فينزلها منزلاً لائقاً، ولو اتخذ منها تسويغاً لعسفه، وإضراماً لوعيده، وتمكيناً لرهبته في الصدور. وحسبنا تلك الأبيات التي ملأ بها مسجد رستقباذ، وهو يخطب على منبره. وهي(١٦٠):

ربَّ مَنْ أنضجتُ غيظاً قلبَه … قد تمنَّى لي موتاً لم يُطع

ويراني كالشجا في حلقه … عَسِراً مخرجه ما يُنتزع

مُزْبِداً يَخطِرُ ما لم يرني … فإذا أسمعته صوتي انقمع

ويحييني إذا لاقيته … وإذا يخلو له لحمي رتع

أما حظه من الفن الشعري إنشاءً، فما عرف له ذكر بين الشعراء، وإن كان لا تنقصه القدرة الخطابية والبيانية، ولم ينته إلينا مما نسب إليه من أشعار سوى أبيات ختم بهن رسالته إلى عبد الملك، بعد أن كتب إليه يعنفه على سرفه وتبذيره وكثرة قتلاه، "فكتب إليه الحجاج: فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين، يذكر فيه سرفي في الأموال والدماء، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حق أهل الطاعة، فإن كان ذلك سرفاً فليحدّ لي أمير المؤمنين حداً أنتهي إليه، ولا أتجاوزه، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي … أذاك فيومي لا توارت كواكبه



إذا قارف الحجّاج منك خطيئة ... فقامت عليه في الصباح نوادبه

أسالم من سالمت من ذي هوادة ... ومن لا تسالمه فإني محاربه

إذا أنا لم أُدْنِ الشفيف لنصحه ... وأُقْصِ الذي تسري إلي عقاربه

فمن يتقي يومي ويرجو إذاً غدي ... على ما أرى والدهر جَمٌّ عجائبه"(١٦١)

كما نسب إليه الأصمعي هذين البيتين فقال: قال الحجاج لما احتضر – وهما من خير أقواله، وقد غبطه عليهما من لا يوده، ولا يرجو له الخير –(١٦٢):

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا ... بأنني رجل من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويحهم ... ما علمهم بكثير العفو ستّار

وقبل أن نختم حديثنا، أودُّ أن أذكر ولع الحجاج بالشعر، الذي يتجلى في أثناء اختياره رسله إلى الخليفة؛ إذ كان يختارهم من أهل الفصاحة، والشعراء المحلقين، ككعب الأشقري، وعمران بن عصام العنزي، وعرار بن عمرو بن شأس وغيرهم، لثقته بحسن تأتيهم، ولطف حديثهم، ووقعه في صدر الخليفة، وما يتركه فيه من طيب الأثر، فلا غرابة إن سهل حجابه لهؤلاء الشعراء، وأحسن مثواهم، ولا غرابة إن سمعنا من الشعبي – رحمه الله تعالى – كلمته: "يأتي على الناس زمان يُصَلّون فيه على الحجاج"(١٦٣).

*   *   *

رفع
المسهم

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع الشعر والشعراء في ركاب الحجاج، نخلص إلى النتائج الآتية:

- إن كل انحراف بالشعر عن الغاية الأصيلة له يدفعه إلى سبل تجعله رهن المصالح الشخصية، بل يغدو وسيلة تكسب وارتزاق، ولا يخفى أثر سيف الحجاج وذهبه في رقاب الشعراء وقوافيهم؛ إذ غدا فناً داجناً في حظيرته، وإن كانت مسورة بالأسنة والرماح، إلا من آثر الغربة والتشرد على ما يدعوه إليه.
- الطباع الإنسانية التي تتشكل تحت سياط الضرورة - خوفاً وطمعاً - يداخلها الانتكاس الذي يقلب الحقائق، ويمتهن التزوير، بل تظهر الطرب لوقع السياط المذلة، وهدير الدماء المسفوحة، فترى في البطش والقهر حزماً وبأساً ورشاداً، ولو قتل الأخيار، وعطلت الديار. وكانت أثمان المحامد لتلك السيوف، أن ينحر الفن الشعري بالأطماع، وتنتزع منه أنفة الحق ورسالة الشعر، ويصبح بوق دعاية، وشاهد زور:

وأقتل داء رؤية المرء ظالماً يسيء ويتلى في المحافل حمده

- إن اصطناع الشعراء من الحجاج استهلاك للطاقات الفنية، وتعطيل لدورها الرائد في مواكب الحق والإصلاح، والانتصار لهما، بعد اعتصارها لإنتاج شعر محلق بأجنحة المباراة والمنافسة بين الشعراء، الذين يلوبون على مقعد مكين في ظلال نعيم الحجاج، ولو صوحت تلك الأشعار من صدى الشعور الصادق والعواطف المتوهجة، لأن الصفقة على الألسنة، ولو زيفت تلك العواطف كي يربح الرهان من غير مودة ولا إخلاص، لأن سبيل التكسب يجتوي الصدق والإخلاص.



- إن الحلل التي نسجت للحجاج كانت خيوطها من الأطياف الدينية والتقليدية، مع إيثار للأولى ؛ كي تشد أنظار الرعية إليها، حيث العدل وحماية الدين من أهل الفتن، والقضاء على الخارجين على ولي الأمر، وإن لم تكن راهط ومسكن والجماجم من المآثر، ومع ذلك لم يغادر شعراء الحجاج الحديث عن قوته وتنكيله، ولئن كلت سيوفه من القراع، فإن الشعراء لم يكلوا من مديحه، أو هجائه بعد وفاته.

- بلغ الشعر في ظلال الحجاج درجة من الخصب والازدهار، وإن لم يقم الشعراء على جديد خطر فيه، فاستأثرت المقدمات الغزلية بصدر قصائدهم إلى جانب حديث الشباب والشيب والطيف، على حساب المقدمة الطللية، مع تفنن في العبارات والأخيلة، المستمدة من القرآن الكريم، إلى جانب الألفاظ والتراكيب البدوية، التي يمتحها الشعراء من المذخور الشعري في ذاكرتهم ولا سيما الشعراء الرجاز، الذين بلغ الرجز على أيديهم القمة الفنية كالأغلب العجلي والعجاج وولده رؤبة.

❊ ❊ ❊



الهوامش

١ – عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، (مصر: دار المعارف، بلا تاريخ، ط ٤، ص: ٣٩٦. وانظر ابن كثير، **البداية والنهاية**. ج: ٩، ص: ١٢٣.

٢ – أحمد بن محمد بن أبي بكر (ابن خلكان)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م) ط: بلا، ج: ٢، ص: ٣٠.

٣ – علي بن الحسن (ابن عساكر)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ، ط: ١، ج: ١٢، ص: ١١٥، وانظر ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج: ٩، ص: ١٢٣، فقد ذكر ذلك عن الإمام الشافعي.

٤ – إسماعيل بن عمر (ابن كثير)، **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد ملحم وزملائه، القاهرة: دار أم القرى، بلا تاريخ، ط: بلا، ج: ٩، ص: ١٢٤. وانظر ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق** ، ج: ١٢، ص: ١١٦.

٥ – ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج: ٢، ص: ٥١. وانظر ابن كثير، **البداية والنهاية** ، ج: ٩، ص: ١٢٤.

٦ – محمد بن يزيد المبرد، **الكامل** ، تحقيق محمد أبو الفضل، دار نهضة مصر للطباعة، بلا تاريخ، ط: بلا، ج: ٢، ص: ٦٥ – ٦٦.

٧ – أحمد بن محمد الأندلسي (ابن عبد ربه)، **العقد الفريد** ، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٠)، ط: ٢، ج: ٥، ص: ١٥.

٨ – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ط: ٢، (حوادث٨١ – ١٠٠)، ص: ٣١٧.

٩ – المصدر السابق، ص: ٣١٧. وانظر ابن كثير، **البداية والنهاية** ، ج: ٩، ص: ١٢٥. وذكره باسم: سليم بن عنز.

١٠ – سورة **الزخرف**، الآية: ٣١.



١١ - محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن** ، تحقيق محمود محمد شاكر، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، بلا تاريخ) ط: بلا، ج: ٢١، ص: ٥٩٣.

١٢ - المبرد، **الكامل** ، ج: ٢، ص: ١٠٥.

١٣ - أبو حيان التوحيدي، **البصائر والذخائر** ، تحقيق وداد القاضي، بيروت: دار صادر ١٤١٦ هـ، ط: ٤، ج: ٥، ص: ٤٤. قال ابن عون: كنت إذا سمعت الحجاج يقرأ، عرفت أنه طال ما درس القرآن. ج: ٤، ص: ٣٥.

١٤ - أبو بكر بن عبد الله بن إيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر** ، تحقيق: جونهيلد جراف، وإريكا جلاس، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤ م، ط: بلا.

١٥ - عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ) ط: ٢، ج: ١، ص: ٢١٣. وتبالة: قرية من قرى الطائف الآن.

١٦ - محمد بن نباتة المصري، **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**. (مصر: مطبعة بولاق، ١٢٧٨ هـ) بلا: ط، ص: ١٠٤.

١٧ - محمد بن الحسن (ابن حمدون)، **التذكرة الحمدونية** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٩٦ م) ط: ١، ج: ٢، ص: ٥١.

١٨ - محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل، (القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ) ط: ٤، ج: ٦، ص: ١٧٤.

١٩ - محمد بن يحيى البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف** ، تحقيق سهيل زكار وزميله، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ هـ) ط: ١، ج: ٧، ص: ١٣٤.

٢٠ - المصدر السابق. ج: ٧، ص: ١٣٥. وانظر ابن الأثير، **الكامل** ، ج: ٤، ص: ٢٦، و **تاريخ ابن خلدون** ، ج: ٣، ص: ٣٩. وممن ختمهم: جابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد.

٢١ - عبد الله بن أحمد (ابن قدامة المقدسي)، **التبيين في أنساب القرشيين** ، تحقيق محمد نايف الدليمي، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ، ط:٢، ص: ٤٠٨. وانظر **الاستيعاب** لابن عبد البر، ح: ٢، ص: ٣٣٦. **ووفيات الأعيان** ج: ٣، ص:٣١. و **الكامل** لابن الأثير. ج: ٤، ص: ١٣٠.

٢٢ - محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **شرح صحيح مسلم** ، (القاهرة: مؤسسة



قرطبة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م) ط: ١، ج: ٧، ص: ١٩٠.

٢٣ - ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج: ٢، ص: ٤١. وانظر ابن قدامة، **التبيين في أنساب القرشيين** . ص: ٣٢٤. وإبراهيم بن طلحة: من رجال قريش وسادتها، يقال له: أسد الحجاز، وأسد قريش، استعمله ابن الزبير على خراج الكوفة، وهو أخو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لأمه (خولة بنت منظور بن زبان)، عاش إلى زمن هشام بن عبد الملك.

٢٤ - التوحيدي، **البصائر والذخائر** ، ج: ٢، ص: ٢١٢.

٢٥ - ابن خلكان، **وفيات الأعيان** . ج: ٢، ص: ٣٠.

٢٦ - عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري)، **عيون الأخبار** ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٢٥م، ط: بلا. ج: ٢، ص: ٢١٢.

٢٧ - عمرو بن بحر، الجاحظ، **المحاسن والأضداد** ، ط: بلا، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦م، ط: بلا. ص: ١٢٨. انظر **التذكرة الحمدونية** . ج: ٨، ص: ٢٣٢.

٢٨ - ابن كثير، بلا، **البداية والنهاية** ج: ٩، ص: ١١٩.

٢٩ - ابن عبد ربه، بلا، **العقد الفريد** ، ج: ٥، ص: ٨.

٣٠ - المصدر السابق. ج: ٥، ص:٢٨.

٣١ - ابن قتيبة، **المعارف** ، ص: ٣٩٧. وانظر الذهبي، **تاريخ الإسلام** ، أحداث (٨١ - ١٠٠) ص: ٣٢١. وذكر ابن كثير في **البداية والنهاية** ، عن مالك بن دينار، عن الحسن البصري، قال علي بن أبي طالب: اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية. قال: يقول الحسن البصري: وما خلق الحجاج يومئذ. ج: ٩، ص: ١٣٨.

٣٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب** ، بيروت، دار صادر، ١٩٩٨، ط: ١، ج:٢، ص: ٢١١.

٣٣ - أبو الفرج بن الحسن البصري، **الحماسة البصرية** ، تحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ، ط: ١، ج: ٣، ص: ١٤٢٣. وأبو داود: يزيد بن هبيرة، وابن أبي كثير: رجل من سلول، بنت ماء: ما يصاد من طير الماء.

٣٤ - محمد بن عمران بن موسى المرزباني، **معجم الشعراء** ، تحقيق: عبد الستار أحمد



فراج، دمشق: مكتبة النوري، بلا تاريخ، ط: بلا، ص: ٤٧، القند: عسل قصب السكر إذا جمد (معرّب)، عزين: جماعات متفرقة، الجُرَيّ: تصغير جرو، وهو ولد الكلب. ومقطّر: ملقى على أحد جنبيه.

٣٥ – ابن قتيبة، **المعارف** ، ص: ٥٤٨.

٣٦ – البلاذري، **جملة أنساب العرب** ، ج:٧، ص: ١١٦. وأورد هذه الأبيات ما عدا البيت الأول الجاحظ في كتاب **الحيوان** ، ج:٧، ص: ١٠٢. وينسبها صاحب الأخبار الطوال، ص: ٣١٤ إلى الأقيشر الأسدي. ونجدها في **ديوانه** الذي جمعه الطيب العشاش، ص: ٨٤. وهذا وهم من الأستاذ الطيب. على الرغم مما عرف به الأقيشر من تلون وتقلب. غُرَّ: خُدع، وأطمع بالباطل. غير ما خرس: له قعقعة وصياح. الزفن: الرقص. يوم السباسب: هو عيد للنصارى قبل عيد الفصح بأسبوع، وهو يوم الشعانين. والأقيبل بن نبهان بن حنيف الكلبي. وينسب في القين بن جسر، وهو شاعر إسلامي.

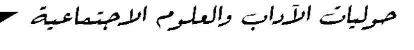
٣٧ – الجاحظ، كتاب **الحيوان**، ج: ٤، ص: ٢٥٣. ولعل هذه الأبيات ما يعضد نسبتها للأقيبل. المستحقب: حمله في مؤخرة الرحل.

٣٨ – عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب** ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٩ هـ، ط: ١، ج: ٥، ص: ٣٩٣. وذكر البيت الأخير أولاً، وقال: وقبلها عند أبي عبيد البكري في شرح **أمالي** القالي، سمط اللآلئ، ص: ٦٤٩. وساق البيتين التاليين. مع أن البكري نسبهما إلى أحد بني سعد بن زيد مناة. ج:٢،ص:٦٤٩. العنس: الناقة الصلبة، تحسري: إذا بلغت الإعياء، تلهدي: تجهدي وتتعبي (إذا عض الجمل غاربه وسنامه)، وبر: دويبة مثل السنور لا ذنب لها، معرد: اللاصق من جزع أو ذل، الملحد: يقصد عبد الله بن الزبير، وحميد الأرقط: ابن مالك بن ربعي، شاعر من شعراء الدولة الأموية، معاصر للحجاج، وسمي بالأرقط: لآثار كانت بوجهه. وهو القائل لضيفه الذي سأله عن الحجاج:

فقال وقد ألقى المراسي للقِرَى ... أبنْ لي ما الحجاج بالناس فاعل

فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا ... فكُلْ ودَعِ الحجاج ما أنت آكل

أتانا ولم يَعْدِله سحبانُ وائلٍ ... بياناً وعلماً بالذي هو قائل





عيون الأخبار، لابن قتيبة، ج: ٣، ص: ٢٤٣. ونسبه البغدادي في **خزانة الأدب** لعتبة بن مسكين الدارمي، ج: ٤، ص: ٢٥٤.

٣٩ – محمد بن الحسن، ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية** ، تحقيق: إحسان وبكر عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٦ م) ص:١، ج: ٢، ص:١٠٩،

٤٠ – البلاذري، **أنساب الأشراف** ، ج:٧،ص:٢٠٦.

٤١ – أبو الفرج الأصبهاني، **الأغاني** ، بيروت: دار إحياء التراث العربي – مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية –، بلا تاريخ، ط: بلا، ج: ٦،ص: ٢٠٥. وبعضهم ينسب هذه الأبيات لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزبير، وأستبعد هذا لزواجه منها، وقيل: إنها لأبي شجرة السلمي (وهو عمرو بن عبد العزى). انظر **الأغاني** ، ج: ٦، ص: ٢٠٧. وأرجح أنها للشاعر النميري، وهو محمد بن عبد الله النميري، من ثقيف، شاعر غزل من أهل الطائف، من شعراء الدولة الأموية، اشتهر بحبه زينب بنت يوسف بن الحكم، شقيقة الحجاج بن يوسف، وتزوجت الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل.

٤٢ – المصدر السابق. ج:٦، ص: ١٩٨.

٤٣ – المصدر السابق، ج: ٦، ص: ١٩١ وما بعدها، وإسبيل: جبل في مخلاف ذمار اليمن، والهجارع: جمع هجرع (كدرهم) وهو الخفيف من الكلاب السلوقية، العرباض: الأسد العظيم، وانظر **الكامل** للمبرد، ج: ٢، ص: ١٠٣. و **العقد الفريد** ، ج: ٥، ص: ٢٠٢.

٤٤ – المصدر السابق، ج:١٤، ص:٢٥٠. وعبد الله بن الزبير الأسدي، شاعر كوفي المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، كان متعصباً لهم، وقع أسيراً بيد مصعب بن الزبير، فمنَّ عليه ووصله وأحسن جائزته، فانقطع إليه ومدحه، ولم يزل معه حتى قتل، وهو أحد الهجائين المرهوب شرهم، مات بالري.

٤٥ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٥، ص: ١٠، وقيل: إن خالد بن يزيد كتب إلى عبد الملك بذلك، ومما قاله: والله يا أمير المؤمنين، لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير، منذ تزوجت رملة بنت الزبير... فكتب إليه يعزم عليه في طلاقها، فطلقها. ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج: ١٢، ص: ١٢٥. ويذكر ابن ظفر المكي، في **أنباء نجباء الأبناء**، ص: ٩١، أن ابن جعفر أرسل إلى خالد بن يزيد رسالة وفيها:

متى طمعت فينا قسيّ تُعِلّنا ... من الضيم بعد الضيم كأس ذعاف



فقلت: بناتي حسبكن فخالد   أبو هاشم جارٌ لَكُنَّ وكاف

وقسي: لقب ثقيف.

٤٦ - ابن كثير، **البداية والنهاية، ج: ٩، ص: ٣١.**

٤٧ - أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، **الأمالي والنوادر والذيل** ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ط: ١، ج: ١، ص: ٢٨١. وقال السيوطي في شرح أبيات المغني: كنيعا، من كنع الرجل إذا خضع ولان.

٤٨ - **الحماسة البصرية** ، ج: ٣، ص: ١٥٠٩. وانظر تاريخ ابن عساكر، ج: ١٢، ص: ١٤٨ - ١٥٠.

٤٩ - الأصبهاني، **الأغاني** ج: ١٣، ص: ١٧٢. والشاعر هو ابن الحجاج بن محصن الغطفاني، أبو الأقرع، فاتك من فرسان مضر ذوي البأس والنجدة فيهم. من شعراء العصر الأموي.

٥٠ - ابن سعد الزهري. **الطبقات الكبرى** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، ط: بلا، ج: ٦، ص: ٦٧.

٥١ - **تاريخ الطبري** ، ج: ٦، ص: ٢٠٣، والبيت الأول لسحيم بن وثيل الرياحي، والرجز لرويشد بن وميض العنبري. وقيل: هو للحطيم القيسي.

٥٢ - الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٢٠، ص: ٣٦٤. وأسماء هو ابن خارجة الفزاري الكوفي، سيد قومه. كان جواداً ممدحاً. وكانت ابنته هند تحت عبيد الله بن زياد، وهو أبو عذرتها. ثم تزوجها بشر بن مروان، ثم الحجاج.

٥٣ - الجاحظ، **المحاسن والأضداد** ، ص: ٢١٩.

٥٤ - الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٧، ص: ٢٣١. ومالك بن أسماء هو الذي عاتبه الحجاج فيما بعد على هنات ولهو، فقال مالك:

فهبني يا حجاج أخطأت مرة   وجرت عن المثلى وغنَّيتُ بالشعر

٥٥ - **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٢٠٧ - ٢٠٩. وانظر **الأغاني** ، ج: ١٤، ص: ٢٤٥. و**الكامل** للمبرد ، ج: ٣، ص: ٣٧٦، تجهز: أعدّ جهازك للخروج في البعث. خطتا خسف: أمران فيهما الهوان والبلاء، ولا ينجي منها إلا مهلكة ثالثة: وهي اعتصامك بذروة جبل شامخ، يلبسه الثلج.



٥٦ – ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**. ص: ١٧٥. وذكر: لا لين فيه، ولا ضعف.

٥٧ – علي بن محمد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، راجعه: محمد الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ، ط: ٢، ج: ٤، ص: ١٤٢.

٥٨ – ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج: ٣، ص: ١٤٥. وذكر البيتان من غير قائل، وكذلك في كتابه، **تأويل مختلف الحديث** ، ص: ٦١٩. ونسبهما البلاذري في **أنساب الأشراف** إلى رجل اسمه " البراء ".

٥٩ – أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، **المعرب من الكلام الأعجمي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ط: بلا، ص: ٢٩٤.

٦٠ – المبرد، **الكامل** . ج: ٢، ص: ١٠٢. وسوار واحد من بني ربيعة بن كعب بن سعد. شاعر إسلامي، عاصر الحجاج وهرب منه، ودراب: هي درابجرد، وهي كورة بفارس. والمجيزين: هم المقيمون بأبواب الثغور، يمنعون الخارج إلا من كان بيده جواز. وورائي: أمامي. انظر البلاذري، **أنساب الأشراف** ، ج: ٧، ص: ٢٨١. و **خزانة الأدب** ، ج: ٧، ص: ٥٥.

٦١ – المصدر السابق، ج: ٣، ص: ٣٦٧. وانظر ابن كثير، **البداية والنهاية** ، ج: ٩، ص: ١١. وهو شريك بن عمرو اليشكري. وأرجح أن تكون لشاعر المهلب كعب الأشقري.

٦٢ – البلاذري، **أنساب الأشراف** ، ج: ٧، ص: ٢٨١. طمرة: موثقة الخلق. أبلخ: العظيم الشريف. دربخ: طأطأ الرجل رأسه، وحنى ظهره، ذلاً وهواناً.

٦٣ – **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٢١١. ومن الأعيان الذين كانوا معه عبد الله بن حكيم المجاشعي، والهذيل بن عمران البرجمي، وصلبهم الحجاج.

٦٤ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٨، ص: ١٣٥. يقال: فلان ابن عمه قصرة، أي قريب. والنيازك: الرماح القصيرة. وأعشى ربيعة: هو عبد الله بن خارجة، أحد شعراء الدولة الأموية، وما أفلته من عقاب الحجاج إلا كتاب عبد الملك إليه، بالصفح عنه، ويحسن جائزته. انظر القالي، **الأمالي** ، ج: ٢، ص: ٢٦٧.

٦٥ – البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٧، ص: ٢٩٢.

٦٦ – الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات** ، ص: ٥٠٨. وانظر ابن منظور، مختصر تاريخ مدينة دمشق، ج: ٣، ص: ٨٤.



٦٧ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٢، ص: ٢٨٧. ويزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أمه بكرة بنت الزبرقان بن بدر، كان شاعر ثقيف في الإسلام. مع شرف ووجاهة.

٦٨ – البغدادي، **خزانة الأدب**، ج: ١، ص: ١١٤.

٦٩ – نسبت هذه الأبيات إلى مالك بن الريب عند ابن قتيبة في **الشعر والشعراء**، ص: ٣١٤، و **المعارف** ، ص: ٥٤٨. والمبرد في **الكامل** ، ج: ٢، ص: ١٠٣، والبغدادي في **خزانة الأدب**، ج: ٢، ص: ٥٥. ونسبها ياقوت في **معجم البلدان** إلى البرج بن خنزير التميمي. وابن العماد في **شذرات الذهب** إلى ملك بن أبي يزيد، ج: ١، ص: ١٠٧. وأستبعد أن تكون لمالك ابن الريب؛ لأنه توفي قبل ولاية الحجاج بزمن. ويقال: مات سنة ستين للهجرة. وأرجح أن تكون للفرزدق كما ذهب المرزوقي في شرحه **للحماسة**، ص: ٦٧٦. وابن قتيبة في **عيون الأخبار**، وفي **الديوان** : زمان هو المقري المقر.. بدل العبد. وعتيد: تصغير عتود، من أولاد المغر ما أتى عليه الحول.

٧٠ – المبرد، **الكامل** ، ج: ٢، ص: ١٠٣. وابن قتيبة، **المعارف** ، ص: ٥٤٨. والثعالبي، **ثمار القلوب** ، ص: ٢٤٣.

٧١ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ، ج: ١، ص: ٢٤٦.

٧٢ – الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج: ٢، ص: ٢٠٨.

٧٣ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٤، ص: ٢٨٤.

٧٤ – تاريخ الطبري، ج: ٦، ص: ١٠٣.

٧٥ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٤، ص: ٢٩٠. وكعب بن مَعْدان الأشقري الأزدي: شاعر فارس، خطيب من الشجعان أصحاب المهلب، المذكورين في حروب الأزارقة. وله أشعار في المهلب وشجاعته. وشهد له الفرزدق بالنبوغ في الشعر.

٧٦ – المبرد، **الكامل** ، ج: ٣، ص: ٣٩٩. أحِزَّة: جمع حزيز، وهو متن من الأرض ويغلظ، والفجاج: الطرق.

٧٧ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٨، ص: ١١٩. وانظر إحسان عباس، **شعر الخوارج** . ص: ١٦٦. وشبيب هو ابن يزيد الشيباني الخارجي، من فرسانهم الأشداء، وأهل القوة البالغة، والبأس الشديد، والمعرفة التامة بأمور الحرب وحسن تدبيرها.



تسمى بأمير المؤمنين. مات في غير لقاء. وانظر **تاريخ الطبري** ج: ٦، ص: ٢٤١.
وعند البلاذري في **أنساب الأشراف**، ج: ٨، ص: ٢٣، " عاري الجواعر من ثمود أصله.. " وقال: جعل أصحاب شبيب يضربون باب القصر ويقولون يا عدو الله يا بن أبي رغال، يا أخا ثمود، اخرج. وفي ذلك يقول وصيلة بن عتبان الشيباني:

لعمري لقد نادى شبيبٌ وصحبُه على الباب لو أنَّ الأمير يُجِيبُ

فلا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

ونسبها ابن خلكان في وفياته إلى أبي المنهال الخارجي. ج: ٢، ص: ٤٥٦.

٧٨ – **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٢٤١. إن بعض الناس يقول: إن ثقيفاً بقايا ثمود، وبعضهم يقول: هم من نسل يقدم الإيادي.

٧٩ – البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٨، ص: ٣٣.

٨٠ – ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، تحقيق: إحسان عباس. ج: ٢، ص: ٢٩. وانظر إحسان عباس، **شعر الخوارج** ، ص: ١٢٢.

٨١ – إحسان عباس، **شعر الخوارج** ، ص: ١٣٨. وأورد ابن عساكر في **تاريخ مدينة دمشق**، ج: ١٢، ص: ١٦٤، أن عبد الملك كتب إلى الحجاج أن يبعث إليه برأس أسلم بن عبد البكري. فأحضره الحجاج. ومما قاله للحجاج: إني أعول أربعاً وعشرين امرأةً، مالهن بعد الله كاسب غيري... فقال هن بالباب... فأمر بإحضارهن... حتى انتهى إلى جارية... فجثت بين يديه، وأنشأت تقول: (الأبيات). فمنّ عليهن. وكذلك عند ابن كثير في **البداية والنهاية** ، ج: ٩، ص: ١٣١

٨٢ – ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج: ٢، ص: ٤٦.

٨٣ – التوحيدي، **البصائر والذخائر** ، ج: ٥، ص: ١٩٠. ونسبها الحصري القيرواني في زهر الآداب لعمران بن حطان الشاري. وأستبعد ذاك فما عرف عنه. ولو كان كذلك لما لجّ الحجاج في طلبه، وهو من القعد.

٨٤ – المبرد، **الكامل** ، ج: ٣، ص: ٣٩٠. ونسبها البلاذري في **أنساب الأشراف** إلى رجل من بني ضبة، ج: ٧، ص: ٤٣١.

٨٥ – **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٣٢٩.

٨٦ – المصدر السابق، ج: ٦، ص: ٣٣٧. ورواية **الأغاني** ج: ٦، ص: ٥٩: إنَّا سفونا للكفور الفتان. وهي أمتن. بمعنى: خف وأسرع، والكذاب الماضي: المختار الثقفي. الدَبى:



الجراد. الذيفان: الموت. والأعشى: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، أبو المصبح، شاعر كوفي فصيح، ولد سنة ٣٠ ه من شعراء الدولة الأموية. فارس اليمن وشاعرهم. كان له فضل وفقه وعبادة في مبتداه، ثم عزف عن ذلك وقال الشعر. وقع أسيراً في بلاد الديلم، حتى هربت معه بنت العلج الذي أسره. قتله الحجاج صبراً.

٨٧ – البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٧، ص: ٣١٨. وانظر **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٣٣٧. **والأغاني** ، ج: ٦، ص: ٥٩.

٨٨ – **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٣٩٢. الكظاظ: من كظه الأمر، إذا كربه وجهده، وأخو الكظاظ: صاحب الممارسة الشديدة في الحرب.

٨٩ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٦، ص: ٤٦. وانظر **ديوان** الأعشى، ص: ٣٢٣.

٩٠ – البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٧، ص: ٣٢٧. وانظر **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٣٤٣.

٩١ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١١، ص: ٣١٢. وزرنجا: قصبة بسجستان.

٩٢ – المصدر السابق، ج: ١١، ص: ٣١٠. وأبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حُجْر بن عبيد الله اليشكري، شاعر إسلامي، سكن الكوفة، وخرج مع ابن الأشعث بعد أن كان أثيراً لدى الحجاج، وبعثه إلى عبد الله بن جعفر ليخطب له ابنته أم كلثوم، وقتله الحجاج فيما بعد. والزاوية: موضع قرب البصرة، كانت فيه الوقعة الشهيرة بين ابن الأشعث والحجاج سنة ٨٣ هـ. وقُتل فيها خلق كثير. البرى: الخلخال.

٩٣ – **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٣٦٨. وانظر **الأغاني** ، ج: ١١، ص: ٣١٢. وأعتقد أن الشعبي قد سمع هذه القصيدة. واستحضر ما ذكره الشاعر، فقال بين يدي الحجاج: خبطتنا فتنة، ما كنا فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أشقياء.

٩٤ – المصدر السابق، ج: ٦، ص: ٣٧٦. وانظر **الأغاني** ، ج: ٦، ص: ٥٨. والنجير: حصن باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس أيام أبي بكر، فحاصره المسلمون حتى فتحوه عنوة، وقُتل من فيه، وأُسِرَ الأشعث سنة ١٢ هـ.

٩٥ – سورة **التوبة**، الآية: ٣٢.

٩٦ – سورة **النحل**، الآية: ٩١.

٩٧ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٦، ص: ٣٣.



٩٨ – المبرد، **الكامل** ، ج: ٢، ص: ٩٧.
٩٩ – الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٣، ص: ٣٢٨. وانظر **ديوان الأعشى** ، ص: ٦٢.
١٠٠– المصدر السابق، ج: ٣، ص: ٣٣٤. أبو وابص: الجرو، علاتك: ناقتك الصلبة. وفي البيت الثاني إقواء.
١٠١– المصدر السابق، ج: ٢٢، ص: ٣٣١. مطوح: مهلك. والعديل هو ابن الفَرخ بن معن بن الأسود العجلي شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية. لقبه (العَبّاب) وهو اسم كلبه، وهو من رهط أبي النجم العجلي.
١٠٢– المبرد، **الكامل** ، ج: ٢، ص: ٩٩. وهناك اختلاف في بعض الألفاظ عند الآخرين: يخشونني: أخوّف بالحجاج. الناعجات: اليعملات. الغاسلات: الغانيات، والراحضات. والمعنى واحد.
١٠٣– ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص: ٤١٤. وانظر **الأغاني** ، ج: ٢٢، ص: ٣٣٤. والمبرد في **الكامل** ، ج: ٢، ص: ٩٩. والبغدادي في **خزانة الأدب**، ج: ٥، ص: ١٩٠.
١٠٤– الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج: ١، ص: ٣٠٩. وانظر **الأغاني** ، ج: ١٢، ص: ٢٧٤. دواحل: هاربة ومختبئة. وهذه الأبيات منسوبة لجرير، وهي من قصيدة في ديوانه، ص: ٤٠٢ ومطلعها:

شُعِفْتَ بِعَهْدٍ ذكّرَته المنازل ... وكِدتَ تَنَاسى الحِلْمَ والشيب شامل

١٠٥– خليفة بن خياط الليثي، **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق مصطفى نجيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ) ط: ١، ص: ١٧٩. وانظر **الأغاني** ، ج: ١٧، ص: ٢٧٥. و **تاريخ ابن عساكر** ، ج: ٤٣، ص: ٥١٢. عمران بن عصام من بني هميم العنزي. كان أعور شريفاً، يختم القرآن في كل ثلاث. من المقربين إلى الحجاج، خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج سنة ٨٢ هـ. وقصيدته التي أنشدها عبد الملك:

أمير المؤمنين إليك نهدي ... على الشحط التحية والسلاما
ولو أن الوليد أطاع فيه ... جمعت له الخلافة والذماما

وانظر **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٤١٤. معتّب: جد الحجاج. العوسج: شجر له شوك.



الهجهج: صياح الرجل بالأسد.

١٠٦- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٠، ص: ١٦٠. وأبو النجم: هو المفضل أو الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، وهو من الرجاز الفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم.

١٠٧- **شعر العجاج بن رؤبة** ، جمع يحيى الجبوري، (كويت: دار القلم، ١٩٨٣ م)، ط: ٢ ص: ٤٠٨ وما بعدها. والعجاج: اسمه عبد الله بن رؤبة بن حنيفة، من رجاز الإسلام وفصحائهم والمقدمين منهم. بدوي نزل البصرة، واختلف إلى الشام. وأخذ عنه وجوه أهل اللغة، احتجوا بشعره. وله مدائح في مصعب بن الزبير وبشر بن مروان، والحجاج وغيرهم. وتكميك: شجاعتك. الهضب: الكسر. المحض: الخالص الصريح. دحضاً: زلقاً.

١٠٨- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص: ٦١٣.

١٠٩- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ١٠، ص: ١٥٠.

١١٠- البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٥، ص: ٣٣٠. غلق الرهن: إذا لم يُقدر على افتكاكه.

١١١- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٧، ص: ١٦٦.

١١٢- الأخطل، **شعر الأخطل** ، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٦، ط: ٤، ص: ٢٧٩، القصيدة (٤٤). الرواسم: الإبل تؤثر في الأرض من ثقل ما تحمل. الورق: الفضة. الشناة: البغضاء. الغائلة: المهلكة. فرط المنية: ما سبق إليه منها.

١١٣- المبرد، **الكامل**، ج: ١، ص: ٣٠٦. وانظر **الأغاني** ، ج: ١١، ص: ٢٤٨. و**الديوان**، ص: ٨٨. وليلى هي بنت عبد لله بن الرحال بن شداد الأخيلية. من النساء المتقدمات في الشعر، من شعراء الإسلام. وكان بينها وبين توبة بن الحمير علاقة محبة. وفدت على عبد الملك والحجاج وغيرهما..

١١٤- القالي، **الأمالي**، ج: ١، ص: ٨٦. وانظر البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج: ٢، ص: ٤٧.

١١٥- ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٦٣٩ وما بعدها. ونويفع - أو نافع - هذا كان من رجالات العرب شعراً ونجدة، وربما أخاف السبيل. والعنقاء: أكمة فوق جبل مشرف. وعماية: جبال سود وحمر بنجد. ويوسف هو والد الحجاج



وابنه محمد، مات باليمن، سنة ٩١ هـ. وعدان: موضع كل ساحل هو سيف البحر، ويعني ابنه محمداً. والبيتان الأول والثاني نسبهما المبرد لمحمد بن نمير الثقفي، ج: ٢، ص: ١٠٣، وكذلك الأصبهاني في **الأغاني** مع اختلاف يسير، ج: ٦، ص: ١٩١. ثم نسبهما الأصبهاني للعديل بن الفرخ العجلي، ج: ٢٠، ص: ١٨.

١١٦- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٢١، ص: ٣٩٩.

١١٧- شرح **ديوان** الفرزدق، ج: ١، ص: ١٣٧، ق: ٥٨.

١١٨- المصدر السابق،ج: ٢،ص: ١٦١، ق: ٣٧٠. المهجس: المتوسوس خوفاً منه. الملقلق: فاقد العقل.

١١٩- المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٨٩، ق: ٤٤٥. الخصائل: العضلة.

١٢٠- المصدر السابق، ج: ١، ص: ٣٩٨، ق: ١٩٦.

١٢١- المصدر السابق، ج: ١، ص: ٥٦٢، ق: ٢٨٠. وجود الحجاج لا ينكر، فقد أعطى الفرزدق مئة من الإبل مهراً لحدراء بنت زيق الشيبانية. انظر ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٣٩٣.

١٢٢- المصدر السابق، ج: ١، ص: ٤١٧، ق: ١٩٨. المخدر: الأسد. السورة: الغضب

١٢٣- محمد بن عمران المرزباني، **الموشح**، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، بلا تاريخ، ط: بلا، ص: ١٥٥.

١٢٤- شرح **ديوان** الفرزدق، ج: ٢، ص: ٢٨٩، ق: ٤٤٥. التابل: من التبل، الثأر.

١٢٥- انظر الحاشية رقم ٧٠.

١٢٦- المبرد، **الكامل**، ج: ٢، ص: ١٠٧.

١٢٧- شرح **ديوان** الفرزدق، ج: ١، ص: ٣٩١، ق: ٢٣١.

١٢٨- ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٣٠٩.

١٢٩- شرح **ديوان** الفرزدق، ج: ٢، ص: ٨٥، ق: ٣٤٠. الجوالف: المجدبة. الجرباء الشارف: الناقة المسنَّة الجرباء. اللط: الستر والكتمان.

١٣٠- المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٣١ ق: ٤١٠. الغلة: الظمأ. النهال: الظمآن. بعث البغال إلى يزيد بن عبد الملك أن يخلع شقيقه سليمان. المفصصة: الآتية بالأخبار الداعية لتقض العهد. يشير إلى قتيبة بن مسلم الذي أبى بيعة سليمان.

١٣١- المصدر السابق، ج: ١، ص: ٤٣١، ق: ٢٠٥. البُرى، جمع برة: حلقة توضع في



أنف البعير. صعر: مائلة الأعناق من جذب الأزمة. التجمير: حبس المقاتل في المغازي بعيداً عن أهله. المختبط: طالب الجنى. موضع الأجر: يوم القيامة: الأروى: الوعل.

١٣٢- المصدر السابق، ج: ٢، ص: ١٨٩، ق: ٣٨٥. الحوصاء: المغص والألم. هيض اندمالها: نكس بَرؤها. انظر **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٣٣٧. فقد أشار إلى ذلك. وصدّق قول الفرزدق محمد بن زياد، وكان مسجوناً في ديماس الحجاج زماناً.

١٣٣- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج: ٩، ص: ١٨٦.

١٣٤- شرح **ديوان** الفرزدق، ج: ٢، ص: ٥٦١، ق: ٥٦٦.

١٣٥- المصدر السابق، ج: ١، ص: ١٢٦.

١٣٦- المصدر السابق، ج: ٢، ص: ٢٩١.

١٣٧- المبرد، **الكامل**، ج: ٢، ص: ١٥٢. ورواية **الديوان** تختلف بعض ألفاظها اختلافاً يسيراً عنها. (أقبلن من جنبيّ فِتاخٍ وإضم، حتى تناهين إلى باب الحكم. وبؤبؤ الكرم.)

١٣٨- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٨، ص: ١٤ وص: ٨٦.

١٣٩- البغدادي، **خزانة الأدب**، ج: ٥، ص: ١٦٤. وذكر صاحب **ذيل أمالي القالي**، ص: ٤٢، وكان قد أمنه الحجاج بعدما أخافه أشد الخوف، وقدم الحجاج العراق وجرير والفرزدق يستبان منذ سبع سنين.

١٤٠- ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٤١٧.

١٤١- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص: ٤٦٧. والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج: ٥، ص: ١٦٤

١٤٢- القالي، **الأمالي وذيل الأمالي**، ص: ٤٢.

١٤٣- شرح **ديوان** جرير، محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، (القاهرة: دار المعارف، بلا تاريخ)، ط: ٣، ج: ١، ص: ٩١.

١٤٤- المرزباني، **الموشح**، ص: ١٧٩.

١٤٥- الأصبهاني، **الأغاني** ، ج: ٤. ص: ٥١.

١٤٦- ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج: ١، ص: ٦٧.



١٤٧- **تاريخ الطبري**، ج: ٦، ص: ٤٩٠، الديوان، ص:١٣٦، ق: ١١. وانظر خبر ابن حبيب في **طبقات فحول الشعراء**، ص: ٤١٨، أن جريراً أنشد هذه القصيدة بين يدي عبد الملك.

١٤٨- المصدر السابق، ج: ٦، ص: ٤٩١.

١٤٩- جرير، **الديوان**، ص: ٢٤٣، ق: ٣٤.

١٥٠- المصدر السابق، ص: ٣٧٢، ق: ٦٣.

١٥١- المصدر السابق، ص: ٧٢٧. الجاذي: الذي جذا مرفقه في إبطه من قِصَر ساعده، يريد أنه ليس بالبخيل.

١٥٢- المصدر السابق ٨٤٨، ق: ١٣.

١٥٣- المصدر السابق، ص: ٣٩٩، ق: ٧١. انظر الحاشية رقم ١٠٦.

١٥٤- المصدر السابق، ص: ٧١٦، ق: ٢٣٢. وهي في مدح سليمان بن عبد الملك، حويل: قوة. الديماس: سجن الحجاج. المحول: الجدب.

١٥٥- المصدر السابق، ص: ١٣٩، ق: ١١.

١٥٦- الجاحظ، **المحاسن والأضداد**، ص: ٧٦.

١٥٧- المبرد، **الكامل**، ج: ٣، ص: ١٥٥.

١٥٨- ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج: ٥، ص: ٢١. وأبو وائل: هو شقيق بن سلمة الأسدي، أسد خزيمة، أدرك سبعاً من سني الجاهلية. أدرك النبي ولم يسمع منه شيئاً. من الأخيار العباد الثقات الذين لا يسأل عنهم، شيخ الكوفة، كان لا يقبل شيئاً من ولده ؛ لأنه كان قاضياً على الكناسة. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز.

١٥٩- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج: ٣، ص: ١٧٠.

١٦٠- ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص: ٤٢١. والأبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري. وهو شاعر مخضرم، مات بعد سنة ٦٠ هـ.

١٦١- ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج: ٩، ص: ١٣٤.

١٦٢- ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج: ١، ص: ١٧٠.

١٦٣- ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج: ١٢، ص: ١٧٥.



المصادر والمراجع

- ابن أبي الحديد: عبد الحميد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ط، ٤.
- ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، **الكامل في التاريخ**، تحقيق محمد الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط ٢.
- ابن بكار، الزبير، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، العراق: ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، بلا تاريخ، ط: بلا.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م، ط بلا.
- ابن خياط، خليفة بن أبي هبيرة، **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق مصطفى فواز، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ط ١.
- ابن الريب، مالك، **ديوان مالك بن الريب** ، تحقيق نوري حمودي، (... ١٩٧٠)، ط: بلا (مطبوع مع ديوان الحسين بن مطير، وديوان الحادرة).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى** ، تقديم إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٤١٨هـ)، ط ١.
- ابن سلام، محمد الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، بلا تاريخ، ط: بلا.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، **العقد الفريد** ، تقديم خليل شرف الدين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٠م، ط ٢.
- ابن عساكر، علي بن الحسن، **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ، ط ١.
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم:
  - **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، بلا تاريخ، ط ٢.
  - **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة، مصر: دار المعارف، بلا تاريخ، ط ٤.



- **عيون الأخبار**، (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٢٥م، ط بلا.

- ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد بن محمد، **التبيين في أنساب القرشيين** ، تحقيق محمد نايف الدليمي، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ، ط ٢.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية** ، تحقيق أحمد أبو ملحم وزملائه، القاهرة: دار أم القرى، بلا تاريخ، ط: بلا.

- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، **الأخبار الطوال** ، تحقيق عبد المنعم عامر والشيال، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بلا تاريخ، ط بلا.

- الأخطل، غياث بن غوث التغلبي، **ديوانه** ، صنعة السكري، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ، ط ٤.

- الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني** ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، بلا تاريخ، ط بلا.

- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، **ديوان العجاج** ، تحقيق عزت حسن، بيروت: دار الشروق، ١٩٧١، ط: بلا.

- الأنصاري، الأحوص بن محمد، شعره، جمع عادل سليمان جمال، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ط ٢.

- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر، دار المعارف بلا، ط ٢.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩، ط ١

- البلاذري، أحمد بن يحيى، **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار وزركلي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ، ط ١.

- بلاشير، ريجيس، **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمة إبراهيم الكيلاني، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ط ٢

- البهبيتي، نجيب محمد، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري** ، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٢م، ط: بلا.



- التوحيدي، أبو حيان، **البصائر والذخائر** ، تحقيق وداد القاضي، بيروت: دار صادر، ١٤١٦هـ، ط ٤.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٩هـ، ط بلا.
- الجاحظ، عمرو بن بحر:
  - **الحيوان** ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ، ط ٢.
  - **المحاسن والأضداد** ، تحقيق علي بوملحم، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٦م، ط ١.
- الذهبي، محمد أحمد عثمان، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق مجموعة من العلماء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ، ط ٢.
- الزبيري، المصعب بن عبد الله بن المصعب، **نسب قريش** ، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف، بلا تاريخ، ط: ٤.
- الشايب، أحمد، **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري** ، بيروت: دار القلم، ١٩٧٦، ط ٥.
- ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي** (العصر الجاهلي والإسلامي)، مصر: دار المعارف، بلا، ط ٧.
- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف بلا تاريخ، ط ٤.
- العاملي، عدي بن الرقاع، **ديوانه** ، جمع نوري القيسي وحاتم الضامن، العراق: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ط: بلا.
- العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: عالم الكتب، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، ط: بلا.
- الفرزدق، همام بن غالب، **ديوانه** ، شرح علي زيتون، بيروت: دار الجيل، ١٤١٧ – ١٩٩٧)، ط ١.
- القالي، أبو علي، **الأمالي وذيل الأمالي والنوادر** ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ، ط ١.
- القرطاجني، حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ط ٢.



- كثير عزة، بن عبد الرحمن بن الأسود، **ديوانه** ، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، بلا تاريخ، ط: بلا.
- المبرد، محمد بن يزيد، **الكامل** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة، بلا تاريخ، ط: بلا.
- المخزومي، الحارث بن خالد، **شعر الحارث**، جمع يحيى الجبوري، الكويت: دار القلم، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، ط: ٢.
- المرزباني، محمد بن عمران، **الموشح**، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة: دار الفكر العربي، بلا تاريخ، ط: بلا.
- المسعودي، علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعارج الجوهر** ، تحقيق سعيد اللحام، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ، ط ١.
- نصيب بن رباح، **شعره** جمع داود سلوم، بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٦٨م، ط: بلا.



Poetry at the Court of al-Hajjaj Ibn Yousef al- Jhaqafi

ABSTRACT

The Omayyad throne was established using cruel and suppressive means. Al-Hajjaj was one of the top officials of the regime; he could be considered the most influential governor (Wali) of the state. His image appeared in most of the authentic resources as a tyrant, and the people of the state, specially the nobility, had been subjected by his policy to different kinds of humiliation.

Nobody could dare to oppose or criticize the Omayyad regime. Even the chiefs of tribes and Olama (knowledgeable people) could not freely express, their attitudes or points of view.

The only exception was those who supported the regime. Many of the poets during the Omayyad dynasty were on the payroll. They received large amounts of money for their panegyric poems.

Panegyric poetry had flourished at Al-Hajjaj's court; many of the well-known poets composed wide-spread poems praising Al-Hajjaj's qualities, describing his false noble manners and deeds aiming at having his rewards, and avoiding, at the same time, his severe punishment. The portrait of Al-hajjaj in this poetry was similar to a tyrant in a prayer niche. This poetry had been influenced by both Jahilite and Islamic traits and characteristics. It is clear that the Omayyad poets exerted their efforts to compose very sophisticated poems. The auther tried honestly and deliberately to edit this poetry so as to come to findings supported with strong evidence for his claims.





The Author :

Dr. Mohammed Nafi Hassan Al- Mustafa

- Ph.D. in Islamic and Umayyed literature, University of Khartoum, Sudan, 1993 .
- Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature College of Arts and Sciences, University of Sharjah, UAE .

Publications

A. Books :

1 - Balancing between the Khariji and Shiites poetry in the first Hijri century. Dar Alma'arif. Sharjah, UAE. 2004.

2 - The interpretation of the different Hadiths for Ibn Qotayba: Verification. Al-Resalah Est.: Beirut, Lebanon, and Al-Bashier Publishing House. Sharjah, UAE. 2004.

3 - Al-Zobaireyoon in history and literature. Al-Resalah Est.: Beirut, Al-Bashier Publishing House. Sharjah, UAE. 2004.

B. Papers:

1 - The Holy Qur'an's discourse on poetry . Al-Azher University's College of Arabic Language magazine, Cairo, Egypt. Issue 23. 2005.

2 - Prophet Mohammed (peace be upon him) and poetry. The Language Sciences magazine, Volume 5, Issue 4, Ain Shams University, Cairo, Egypt. 2005.

3 - Poetry in the court of Omar Bin Abd El-Aziz . The magazine of Sharjah University, Volume 2, Issue 2. Sharjahe UAE. June 2005.

4 - Al-Ghazalu fi l-Qasidti l-Islamiyyati wa l-Umawiyyati Bayna l-Taqlidi wal-Ramz. Al-Adab magazine, University of Fas, Morocco 2007.



MONOGRAPH 282

Poetry at the Court of al-Hajjaj Ibn Yousef al- Jhaqafi

Dr. Mohammed Nafi Hassan Al- Mustafa
Department of Arabic Language and Literature
University of Sharjah
United Arab Emirates



محتوى الحولية الرابعة والعشرين:



محتوى الحولية الخامسة والعشرين:

٢١٧-	سلوك تدخين السجائر لدى طلبة جامعة الكويت: دراسة في شخصية المدخنين	د. بدر محمد الأنصاري
٢١٨-	مصادر المياه و دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكويت: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية	د. عبيد سرور العتيبي
٢١٩-	قراءة نقدية في شعرية القصيدة الجديدة في الكويت ملامح من المستويات الأسلوبية والتعبيرية و الدلالية و المعنوية	د. محمود جابر عباس(رحمه الله)
٢٢٠ -	بناء القصيدة العربية في العصر المملوكي: البنية الإحالية	د. يوسف إسماعيل
٢٢١-	موقف ابن الشجري من شعر المتنبي	د. ليلى خلف السبعان
٢٢٢ -	ديانة شهداء نجران قراءة جديدة للمصادر الأولية	د. عائشة سعيد أبو الجدايل
٢٢٣ -	دور بني العباس في إدارة البلدان، وإمارة الحج في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ/٧٥٠م - ٢٣٢هـ/٨٤٦م).	د. فيصل عبد الله بني حمد
٢٢٤ -	تجاوز ضفاف المألوف: دراسة في شعر الأعشى الكبير	د. نسيمة راشد الغيث
٢٢٥ -	أصول النحو عند البغدادي: دراسة في شواهد الخزانة	د. فاطمة راشد الراجحي
٢٢٦-	وثائق الوقف الكويتية وأهميتها التاريخية (١٢٦٣ - ١٣٨٢ هـ / ١٨٤٧ - ١٩٦٣ م)	د. فيصل عبد الله الكندري
٢٢٧-	من ظواهر الأشباه بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر "الترادف"	د. عبد الرحمان بودرع
٢٢٨-	ظاهرة السفر للسياحة خارج الكويت أسبابها والعوامل المؤثرة فيها: دراسة تحليلية تطبيقية في جغرافية السياحة	د. غانم سلطان أمان
٢٢٩-	التوظيف الفني للنجوم والكواكب في شعر أبي العلاء	د. جاسم سليمان حمد الفهيد
٢٣٠ -	النظرية القصدية في المعنى عند جرايس	د. صلاح إسماعيل
٢٣١-	العلاقات المصرية الحيثية في عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ ق.م) بحث مرجعي	د. فايزة محمود صقر



محتوى الحولية السادسة والعشرين:



محتوى الحولية السابعة والعشرين :



محتوى الحولية الثامنة والعشرين :

رفع المسيهما

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسائل ذات الصلة بدولة الكويت:

١٠	- الروابط العائلية - القرابية في مجتمع الكويت المعاصر	فهد ثاقب الثاقب
٣٥	- اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات	عبد الفتاح القرشي
٥٧	- التغير الاجتماعي في الدول المنتجة للنفط (مجتمع الكويت)	نورة الفلاح
٦٣	- نجاح الشيخ أحمد الجابر في الإفادة من التنافس الإنجليزي الأمريكي بشأن نفط الكويت	ميمونة خليفة العنبي الصباح
٦٧	- النفط والنمو الحضري بدولة الكويت - دراسة حضرية	امل يوسف العنبي الصباح
٧٢	- خبرات الكويت: توزيعها، نشأتها، تصنيفها	عبد الحميد احمد كليو
٧٧	- الاتجاه نحو الدين وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينه من الطلبة الجامعيين في الكويت	نزار مهدي الطائي
٨٢	- مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية و البريطانية (١٨٩٩ -١٩١٣ م)	ميمونة خليفة العنبي الصباح
٩٤	- الاغتراب في الشعر الكويتي	سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن
٩٦	- سياسات الاتصال في دولة الكويت	نبيل عارف الجردي - علي الدشتي(باحث اعلامي) (البحث باللغة الإنجليزية)
٩٨	- موقف المشاهدين في دولة الكويت من القناة الفضائية المصرية بعد التحرير (دراسة ميدانية)	محمد معوض إبراهيم وياسين طه الياسين
١٠٠	- شعر العدواني في مرايا بعض معاصريه	نسيمة راشد الغيث
١٠٤	- اتجاهات الكويتيين نحو ظاهرة الزواج من غير الكويتية	فهد عبد الرحمن الناصر
١٠٥	- انتخاب المجلس الوطني الكويتي لعام ١٩٩٠ (دراسة في الجغرافية السياسية)	جاسم محمد كرم
١٠٨	- الأعراض الاضطرابية المصاحبة لمشكلة الطلاق في الأسرة الكويتية بعد صدمة العدوان العراقي	بشير صالح الرشيدي
١١٦	- المهارات الاجتماعية في علاقتها بالقدرات الإبداعية و بعض المتغيرات الديموجرافية لدى طالبات الجامعة	عبد اللطيف محمد خليفة
١١٨	- قياس الحرج الموقفي: لدى طلاب المرحلة الجامعية من الجنسين وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية في المجتمع الكويتي	بدر محمد الأنصاري
١٢١	- اتجاهات المواطنين الكويتيين نحو الآثار المترتبة على العمالة الوافدة	نضال حميد الموسوي

رفع المسهم

تابع حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسائل ذات الصلة بدولة الكويت:

١٢٥- تفضيلات الاختيار الزواجي ومعوقاته في المجتمع الكويتي	خالد أحمد مجرن الشلال
١٢٧- الاتجاه نحو بعض وظائف الأسرة الكويتية	عدنان عبد الكريم الشطي
١٣٠- الآثار الاقتصادية للغزو العراقي (دراسة مسحية تحليلية)	غانم سلطان أمان و فتحي عبد الله فياض
١٣٢- عدم الاستقرار الأسري (دراسة ميدانية مقارنة بين الزوجات المتفرغات (ربات البيوت) والعاملات في المجتمع الكويتي	هادي مختار رضا
١٣٧- الطفل، المدرسة، التلفزيون: دراسة تحليلية لمحتوى برامج الأطفال في تلفزيون دولة الكويت ودورها في دعم القيم المراد غرسها في طفل المدرسة	محمد محمود العبد الغفور
١٣٩- دافع الإنجاز وعلاقته بالقلق والاكتئاب والثقة بالنفس لدى الموظفين الكويتيين وغير الكويتيين في القطاع الحكومي	عويد سلطان المشعان
١٤٢- نسق المعتقدات حول تدخين السجائر وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى عينة من طلاب جامعة الكويت (دراسة مقارنة بين المدخنين وغير المدخنين)	حصة عبد الرحمن الناصر و عبد اللطيف محمد خليفة
١٤٣- الثقافة في الكويت والغزو العراقي	عبد الله حمد محارب
١٤٦- مظاهر السلوك العدواني لدى طلبة المدارس الثانوية في دولة الكويت (دراسة استطلاعية)	فهد عبد الرحمن الناصر
١٥٣- بعض الأدلة التاريخية والشواهد الجغرافية على استقلال دولة الكويت	فتحي عبد الله فياض
١٥٧- المخاوف المرضية عند طلاب الجامعة الكويتيين	بدر محمد الأنصاري
١٦٢- قراءة في ديوان "قصائد في قفص الاحتلال للشاعرة غنيمة زيد الحرب" نموذج من شعر المقاومة الكويتية"	عبد الستار ضيف
١٦٦- الآثار والانعكاسات المتزايدة للأمن الاجتماعي في المجتمع الكويتي	محمد سليمان الحداد
١٧٤- حجم وأنماط استهلاك المياه بدولة الكويت والعوامل الجغرافية المؤثرة فيها (دراسة تحليلية نقدية في جغرافية الاستهلاك).	غانم سلطان أمان

رفع
المسيّهمّل

١٩٢- " التفاؤل والتشاؤم " قياسهما وعلاقتهما ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب جامعة الكويت	بدر محمد الأنصاري
١٩٨- مستويات المرجعية وتجلياتها التراثية في الشعر الكويتي الحديث	سعاد عبد الوهاب العبد الرحمن
٢٠٣- أثر التدريب في سلوك الموظفين كما يراه رؤساء العمل (دراسة ميدانية مقارنة بين الجهات الحكومية والجهات الخاصة بدولة الكويت)	فهد يوسف الفضالة
٢٠٧- تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب بين طلاب مرحلة التعليم الجامعي بدولة الكويت دراسة وبائية	فريح عويد العنزي و الحسين محمد عبد المنعم
٢١٠- العلاقة بين الأمان العاطفي والاستقلال عن المجال الإدراكي لدى أطفال الروضة الكويتيين في ضوء إدراك الأمهات والمعلمات	معصومة أحمد إبراهيم
٢١٧- سلوك تدخين السجائر لدى طلبة جامعة الكويت: دراسة في شخصية المدخنين	بدر محمد الأنصاري
٢١٨- مصادر المياه ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكويت: دراسة في الجغرافيا الاقتصادية	عبيد سرور العتيبي
٢١٩- قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الجديدة في الكويت ملامح من المستويات الأسلوبية والتعبيرية والدلالية والمعنوية.	محمود جابر عباس الجنابي (رحمه الله)
٢٢٦- وثائق الوقف الكويتية و أهميتها التاريخية ١٢٦٣م - ١٣٨٢هـ / ١٨٤٧- ١٩٦٣م	فيصل عبدالله الكندري
٢٢٨- ظاهرة السفر للسياحة خارج الكويت أسبابها و العوامل المؤثرة فيها دراسة تحليلية تطبيقية في جغرافية السياحة	غانم سلطان أمان
٢٣٦- توجهات المرأة الكويتية بشأن المشاركة السياسية (دراسة استشرافية)	خالد أحمد الشلال
٢٣٨- تحديد الاحتياجات التدريبية ودورها في تخطيط المسار الوظيفي والتدريبي في المؤسسات الحكومية بدولة الكويت (دراسة ميدانية على مؤسسات العمل الحكومي بدولة الكويت)	فهد يوسف الفضالة
٢٤١- تطور الكثافة السكانية بمدينة الكويت الكبرى في الفترة (١٩٧٥-٢٠٠٠م)	نايف بشير منيف الدوسري
٢٥٢- زواج الأقارب في المجتمع الكويتي وعلاقته ببعض المستويات الاجتماعية والثقافية	يعقوب يوسف الكندري
٢٥٦- مقومات السعادة الزوجية كما يدركها الشباب الكويتيون.	عيسى محمد البلهان فهد عبدالرحمن الناصر
٢٦٤- الاغتراب الأسري وأثره في تنمية أفراد الأسرة الكويتية.	خالد أحمد الشلال

رفع المسيرهما

رفع المسلم

رفع
المسهم

استبانة آراء القارئ

عزيز القارئ:

يسر أسرة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية أن ترحب بكم وتتقدم لكم بأطيب التحيات، شاكرين لكم سلفًا تعاونكم من أجل تطوير الحوليات؛ وذلك من خلال إجابتكم عن هذه الأسئلة:

١- **العمر:** .... سنة

٢- **الجنس:** ذكر ☐ أنثى ☐

٣- **بلد الإقامة:** الكويت ☐ خارج الكويت (اذكر) ....

٤- **التعليم:**

ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه ☐

٥- **طبيعة المهنة:**

أكاديمي ☐ إداري ☐ مهني ☐ أخرى (واذكرها) ....

٦- **مواضيعك المفضلة:**

أدبية ولغوية ☐ سياسية ☐ اجتماعية ونفسية ☐

تاريخية ☐ ثقافية ☐ أخرى (واذكرها) ....

٧- **كيف تحصل على الحوليات؟**

شراء ☐ اشتراكاً ☐ استعارة ☐

٨- **هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟** نعم ☐ لا ☐

٩- **رأيك في حجم الحوليات؟**

كبير ☐ متوسط ☐ صغير ☐

١٠- **كيف ترى موضوعات الحوليات؟**

متنوعة ☐ غير متنوعة ☐

١١- **ما الطابع العام للحوليات من وجهة نظرك؟**

لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐

١٢- **هل تقرأ الحوليات بانتظام؟** نعم ☐ لا ☐

١٣- **هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟** نعم ☐ لا ☐

١٤- **هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟** نعم ☐ لا ☐

١٥- **هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟** نعم ☐ لا ☐

١٦- **اقتراحاتك لتطوير الحوليات وتطوير خدماتها للقارئ:**

- -

- -

- -





حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية
الكويت 72454
دولة الكويت

البريد الجوي
BY AIR MAIL
PAR AVION





مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

جامعة الكويت ـ تأسس عام ١٩٩٤م



مدير المركز

د. فهد عبدالرحمن الناصر

يصدر عن المركز مايلي:

- سلسلة الإصدارات الخاصة.
- سجل الأحداث الجارية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.
- مجلدات وثائق مختارة لمنطقة الخليج والجزيرة العربية وجوارها الجغرافي.
- سلسلة إصدارات لنشر بحوث الندوات والمؤتمرات.
- سلسلة ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير، الدكتوراه).
- دليل الرسائل الجامعية «الماجستير والدكتوراه» للباحثين المعنيين في موضوعاتهم بمنطقة الخليج والجزيرة العربية «جزأين».

سلسلة الإصدارات الخاصة

سلسلة علمية محكمة. صدر العدد الأول عام ١٩٩٧م.

يرحب المركز بنشر الأبحاث والدراسات التي تهدف إلى إبراز الخصوصية البيئية للمنطقة الخليجية ورصد قضايا التنمية بأبعادها الحضارية الشاملة وفي ضوء المتغيرات.

قواعد النشر

أولا : أن يكون البحث أو (الدراسة) معنية بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في المجالات الآتية : السياسة ، الاقتصاد ، الجغرافيا ، التاريخ، علم النفس ، الاجتماع، التربية ، اللغةالعربية وآدابها، الثقافة ، البيئة ، القانون، الإعلام ، التراث (الآثار والحضارة والفنون) .

ثانيا: أن تمثل الدراسة إضافة جديدة إلى حقل التخصص .

ثالثا: لم يسبق تقديمها للنشر إلى جهة أخرى .

رابعا: ألا يقل عدد صفحات البحث أو (الدراسة) عن ١٠٠ صفحة ، ولا يزيد على ٢٠٠ صفحة .

الاشتراكات

نوع الاشتراك	الكويت	الدول العربية	الدول الأجنبية
الأفراد	٣ د.ك	٤ د.ك	٦٠ دولارا
المؤسسات	١٥ د.ك	١٥ د.ك	٦٠ دولارا

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم مدير المركز

ص.ب : ٦٤٩٨٦ ـ الشويخ ٧٠٤٦٠ الكويت

هاتف ٤٨١٦٧٩٩ ، ٤٨١٦٨٠٧ ، ٤٨١٦٨٢٤ ، المفتاح الدولي ٠٠٩٦٥ ، فاكس ٤٨١٤٣٩٥ ، ٤٨١٤٠٤٦

البريد الالكتروني للمركز cgaps@kuniv.edu

العنوان الالكتروني لصفحة المركز www.cgaps.kuniv.edu



صدر عن:

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية



السياسة الإسرائيلية

إعداد

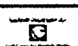
د. جاسم يونس الحريري

٢٠٠٦

عـــدد الصفحـــات: ٢٤٤ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٦٠ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ١٢٥ جنيه استرليني

أزمة البرنامج النووي الإيراني والتداعيات المحتملة على أمن المنطقة

عـــدد الصفحـــات: ٢٨٠ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٤٥ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ٨٠ جنيه استرليني



الدلالات الأمنية لصعود القوة الإيرانية

إعداد

وحدة الدراسات السياسية

يونيو ٢٠٠٦

تحت الطبع

الأمن القومي العربي في ربع عام من يناير إلى مارس ٢٠٠٦ دراسات. تحليلات

إعداد

وحدة الدراسات الأمنية

عـــدد الصفحـــات: ٥٤٠ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٦٠ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ٩٠ جنيه استرليني

مملكة البحرين

٢٠٠٢-٢٠٠٦

يونيو ٢٠٠٦

عـــدد الصفحـــات: ١٩٠٠ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ١٢٥ دينار بحريني
سعر النسخة إلكتروني: ٢٢٥دينار بحريني

قضية الأمن المائي في دول مجلس التعاون الخليجي

إعداد

وحدة الدراسات الأمنية

فبراير ٢٠٠٦

عـــدد الصفحـــات: ٩٢ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٢٥ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ٥٠ جنيه استرليني

تحديات الأمن الإقليمي الخليجي عام ٢٠٠٦

إعداد

وحدة الدراسات الأمنية

٢٠٠٦

عـــدد الصفحـــات: ١٩٦ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٤٥ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ٨٠ جنيه استرليني

القدرات الدفاعية

إعداد

لواء د. جمال مظلوم

٢٠٠٦

عـــدد الصفحـــات: ٤٠٨ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٦٠ جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ١٠٠ جنيه استرليني

واقع المرأة العاملة في دول مجلس التعاون الخليجي واليمن

إعداد

وحدة دراسات المرأة

عـــدد الصفحـــات: ٢٣٦ صفحة
سعر النسخة ورقـــي: ٦٠جنيه استرليني
سعر النسخة إلكتروني: ٩٠ جنيه استرليني

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

Gulf Centre for Strategic Studies

للاستفسار يرجى الاتصال على:

Head Office: Third Floor, 46 Grays Inn Road London WCIX8LR
Tel: (0044) 2074301367, Fax: (0044) 2074049025
E-Mail: gcss@btconnect.com Web Site: www.gcss.org.bh





رئيس التحرير
الدكتور مرزوق بشير مرزوق

صدر العدد الأول

في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ ـ يناير ١٩٨٦ م

ـ تقبل الدراسات والبحوث والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والإعلامية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية .

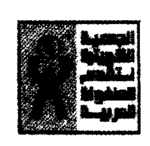
ـ تشتمل على بحث أو دراسة رئيسية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى تحت عنوان : بحوث ـ آراء ووجهات نظر / تقارير / وثائق / عرض كتب / يوميات مجلس التعاون / ببليوغرافيا مجلس التعاون / إحصاءات مجلس التعاون

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير ـ مجلة التعاون
ص . ب : ٧١٥٣ ـ الرياض : ١١٤٦٢
هاتف : ٤٨٨٠٤١٢ (٩٦٦١)
فاكس : ٤٨٢٩١٠٩ (٩٦٦١)
Email : attaawun@gcc-sg.org



مجلة الطفولة العربية

Journal of Arab Children (JAC)



مجلة فصلية محكمة تصدرها

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

إن مجلة الطفولة العربية مجلة علمية محكمة في أبحاثها الميدانية تقدم للقارئ المهتم بمجال الطفولة غرفاً معرفيا لكل ما يخص الطفولة من دراسات وبحوث ومقالات وقراءات عامة يستفيد منها المختصون والمهتمون . وتقبل للنشر باللغتين العربية والإنجليزية المواد الآتية :

- الأبحاث الميدانية والتجريبية.
- الأبحاث والدراسات العلمية النظرية.
- عرض أو مراجعة الكتب الجديدة.
- التقارير العلمية عن المؤتمرات المعنية بدراسات الطفولة.
- المقالات العامة المتخصصة.

تدار المجلة من خلال مجلس أمناء ، وهيئة استشارية ، وهيئة تحرير .

رئيس هيئة التحرير الدكتور حسن علي الإبراهيم

مدير التحرير الدكتور بدر عمر العمر

الإشتراكات

البيان	داخل الكويت	دول مجلس التعاون	الدول الأخرى
ثمن العدد للفرد	1 د.ك	1 د.ك	2 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للفرد	3 د.ك	4 د.ك	15 دولار أمريكي
الاشتراك السنوي للمؤسسات	15 د.ك	15 د.ك	60 دولار أمريكي

العنوان

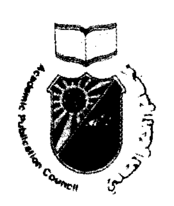
أبرق خيطان- شارع فيصل بن عبد العزيز- فيلا رقم 9279

ص .ب : 23928 الصفاة 13100 الكويت

تليفون : 4748479 -4748387 -4748250 فاكس : 4749381

E-mail : haa49@qualitynet.net





جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي



■ تشكلت لجنة التأليف والتعريب والنشر - التابعة لمجلس النشر العلمي بجامعة الكويت في عام 1976 م .

* أهداف اللجنة :

1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت .

2- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية .

3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسة التي انعقد عليها الإجماع العربي .

* مهام اللجنة :

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية(Text Book) ,و المترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها علي نفقة الجامعة.ويراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية .

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي :
لجنة التأليف والتعريب والنشر / جامعة الكويت
ص.ب : 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت
تلفون : 4843185 / فاكس : 4843185
البريد الإلكتروني : atapc @kuc01.kuniv.edu.kw
الموقع على الإنترنت : www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/atapc



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

رئيسة التحرير

د. فاطمة حسين يوسف العبد الرزاق

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف مجالات البحث والدراسة (باللغتين العربية والانجليزية).

ومن أبوابها:

- البحوث (باللغتين العربية والانجليزية)
- عرض الكتب ومراجعتها
- الببلوجرافيا العربية

الإشتراكات

داخل دولة الكويت

٣ دنانير للأفراد ١٥ دينار للمؤسسات.

الدول العربية

٤ دنانير للأفراد ١٥ دينار للمؤسسات.

الدول غير العربية

١٥ دولار للأفراد ٦٠ دولار للمؤسسات.

ترسل قيمة الاشتراك للأفراد مقدما باسم مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية مسحوب على احد المصارف الكويتية

ISSN: 0254-4288

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيسة تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص. ب : 17073 الخالدية

الرمز البريدي 72451 الكويت

تلفون : 4984067 - 4984066 - 4833215 (965+)

فاكس : 4833705 (965+)

E-mail:jotgaaps@kuc01.kuniv.edu.kw

Http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps





مجلة العلوم الاجتماعية

فصلية - أكاديمية - محكّمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاقتصاد والاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات

رئيس التحرير: الدكتور **خالد أحمد الشلال**

تفتح أبوابها أمام

- أوسع مشاركة للباحثين الاجتماعيين العرب للإسهام في معالجة قضايا مجتمعاتهم.
- التفاعل الحي مع القارئ المثقف والمهتم بالقضايا المطروحة.
- المقابلات والمناقشات الجادة ومراجعات الكتب والتقارير.
- تؤكد المجلة إلتزامها بالوفاء والانتظام بوصولها في مواعيدها المحددة إلى جميع قرائها ومشتركيها.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية

جامعة الكويت

ص.ب 27780 الصفاة. 13055- الكويت

تليفون: 00965-4810436

فاكس 4836026

E-mail:JSS@kuc01.kuniv.edu.kw

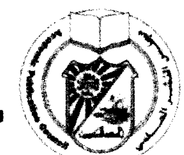
الاشتراكات

	الكويت والدول العربية	الدول الأجنبية
أفراد	3 دنانير سنوياً ويضاف إليها دينار واحد في الدول العربية	15 دولاراً
مؤسسات	15 ديناراً في السنة 25 ديناراً لمدة سنتين	60 دولاراً في السنة 110 دولارات لسنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم المجلة مسحوباً على أحد المصارف الكويتية ويرسل على عنوان المجلة، أو بتحويل مصرفي لحساب مجلة العلوم الاجتماعية رقم 07101685 لدى بنك الخليج في الكويت (فرع العديلية).

Visit our web site: http://kuc01.kuniv.edu.kw/~jss





مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية
محكمة تعنى بنشر البحوث
والدراسات القانونية والشرعية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الدسوقي أبو الليل

صدر العدد الأول في
يناير ١٩٧٧



الاشتراكات

	في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية
الأفراد	٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً
المؤسسات	١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت
تلفون: ٤٨٣٥٧٨٩ - ٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٤٨٣١١٤٣
E-mail: jol@kuc01.kuniv.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol

ISSN 1029 - 6069



مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور : حسنين محمود حسنين

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٤٨١٢٥٠٤ - فاكس: ٤٨١٠٤٣٤

بدالة: ٤٨٤٦٨٤٣ - ٤٨٤٣٢٤٣ - داخلي: ٤٧٢٣

العنوان الإلكتروني: E-mail - JOSAIS@KUC01.KUNIV.EDU.KW

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html



Advisory Board

Prof. Ibrahim Al-Sa'afin
Department of Arabic Language and Literature - University of Sharja

Prof. Hayat N. Al-Hajji
Department of History
University of Kuwait

Prof. Ahmed Etman
Department of Greek and Latin Studies - University of Cairo

Prof. Abdul Qader Al-fasi Al-fehri
Department of Arabic Language and Literature- University of Mohamed V

Prof.Ismail S. Muqiad
Department of Political Seience
University of Assiout

Prof. Marie-Therese Abdul Messieh
Department of English Language and Literature - University of Cairo

Prof.Imam Abdul Fattah Iamn
Department of Philosophy
University of Ain-Shams

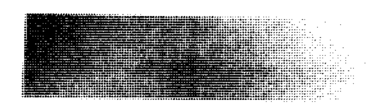
Prof.Mohammed Ghanem Al-Rumeihi
Department of Sociology
University of Kuwait

Prof.Hamdi Hasan Abul-Enein
Dean, Faculty of Mass Communication
Misr International University

Prof.Mohammed M.I.Al-Dib
Department of Geography
University of Ain-Shams

Prof.Mahmoud Al-Sayed Abul-Nil
Department of Psycholgy - University of Ain Shams





Editorial Board

Dr. Fatimah Hussein AL-Abdul-Razzak
Editor-in-Chief

Prof. Ahmed Al-Toukhi
Department of History

Prof. Hassan Sayed Abul-Enein
Department of Geography

Prof. Ezzat Qurani
Department of Philosophy

Prof. Mohammed A.Al-Daly
Department of Arabic Language and Literature

Dr. Hani Amin Azir
Department of English Language and Literature

Dr. Huda Jafar Tahir
Department of Psychology

Dr. Hesham Mohmoud Mesbah
Department of Mass Communication

Dr. Abdulla Misha'l Al-Anzi
Department of Political Science

Dr. Abdulla Muharib Al-Hayin
Department of Arabic Language and Literature

Haifa'a H. Al-Meshari
Managing Editor



ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - University of Kuwait

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE FACULTIES OF ARTS AND SOCIAL SCIENCES:

FACULTY OF ARTS & HUMANITIES:

- Department of Arabic Language and Literature.
- Department of English Language and Literature.
- Department of History.
- Department of Philosophy.
- Department of Mass Communication

FACULTY OF SOCIAL SCIENCES.

- Department of Sociology and Social Work
- Department of Geography
- Department of Psychology
- Department of Political Science

Volume 29, 2008



ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Poetry at the Court of Al-Hajjaj Ibn Yousef Al-Thaqafi

Dr. Mohammed Nafi Al-Mustafa

Department of Arabic Language and Literature

University of Sharjah- United Arab Emirates

University of Kuwait

Academic Publication Council



ISSN : 1560 - 5248

Monograph 282-Volume 29

(September)

